علي بن إبراهيم النملة

ثقافة العبث

سلوكيات عبثية في زمن الفاقة

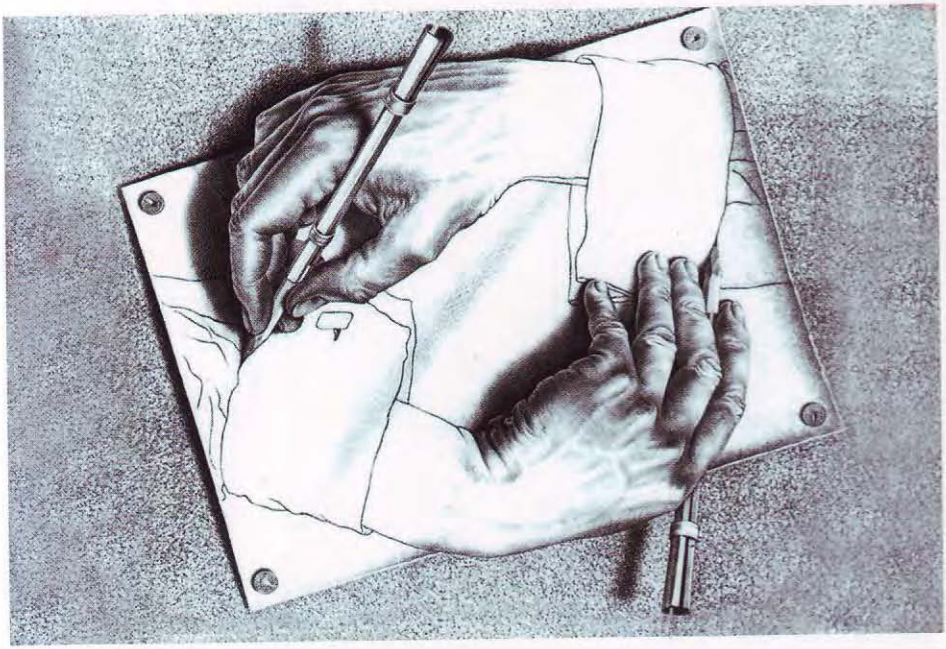

العبيكان Obeikan
الألوكة
www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثَقَافَةُ الْعَبَثِ
سُلُوْكِيَّاتٌ عَبَثِيَّةٌ
فِيْ زَمَنِ الْفَاقَةِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثَقَافَةُ الْعَبَثِ

سُلُوكِيَّاتٌ عَبَثِيَّةٌ فِي زَمَنِ الْفَاقَةِ

عَلِي بن إِبْرَاهِيمَ الحَمَد النَّمْلة

العبيكان
Obeikan

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النملة، علي إبراهيم

ثقافة العبث: سلوكيات عبثية في زمن الفاقة./ علي إبراهيم النملة.
- الرياض، ١٤٢٨هـ

٢٤٥ص؛ ١٤ × ٢١سم

ردمك: ٥-٢٨١-٥٤-٩٩٦٠

١- المقالات العربية - السعودية أ- العنوان

ديوي ٨١، ١٤٢٨/٢٦٦١

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٢٦٦١

ردمك: ٥-٢٨١-٥٤-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر: العبيكان Obeikan للنشر

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ ٢٩٣٧٥٨١/ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ ٤٦٥٤٤٢٤/ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾.

[المؤمنون: ١١٥]

قال الله تعالى:

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا عَجَّ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْهُ يَقُوْلُ: يَا رَبِّ إِنَّ فُلَانًا قَتَلَنِي عَبَثًا وَلَمْ يَقْتُلْنِي لِمَنْفَعَةٍ»

(أخرجه النسائي وابن حبَّان والإمام أحمد والبغوي).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قائمة المحتويات

	الموضوع	الصفحة
-	**المحتويات**	٩
-	**التمهيد**	١١
-	**القسم الأول: عبثيَّات في العلوم والثقافة**	١٥
١	الوقفة الأولى: العبث بالضوابط	١٧
٢	الوقفة الثانية العبث بالدين	٢١
٣	الوقفة الثالثة العبث بعلوم الدين	٢٥
٤	الوقفة الرابعة العبث بالتاريخ	٢٩
٥	الوقفة الخامسة العبث بالتراث (١)	٣٣
٦	الوقفة السادسة العبث بالتراث (٢)	٣٧
٧	الوقفة السابعة: العبث بالفتوى	٤١
٨	الوقفة الثامنة: العبث بالأحكام	٤٥
٩	الوقفة التاسعة: العبث بالمعتقد	٤٩
١٠	الوقفة العاشرة: العبث بالعقل	٥٣
١١	الوقفة الحادية عشرة: العبث بالعاطفة الدينية	٥٧
١٢	الوقفة الثانية عشرة: العبث بالوجود	٦٥
١٣	الوقفة الثالثة عشرة: العبث بالحقِّ	٦٩
١٤	الوقفة الرابعة عشرة: العبث بالرقابة الذاتيَّة	٧٣
١٥	الوقفة الخامسة عشرة: العبث بمقاصد الخلق	٧٧
١٦	الوقفة السادسة عشرة: العبث مع المصطلح	٨٣
١٧	الوقفة السابعة عشرة: العبث مع المقدَّس	٩١

	الموضوع	الصفحة
١٨	الوقفة الثامنة عشرة عشرة: العبث بالذائقة الأدبية	٩٩
١٩	الوقفة التاسعة عشرة: العبث بالإرث	١٠٥
٢٠	الوقفة العشرون: العبث بالذائقة الفنِّية	١٠٩
–	**القسم الثاني: عبثيَّات في الشأن الاجتماعي**	١١٣
١	الوقفة الأولى: العبث بالأرزاق	١١٥
٢	الوقفة الثانية: العبث بالقانون الدولي	١٢١
٣	الوقفة الثالثة: العبث بالغياب	١٢٥
٤	الوقفة الرابعة: العبث بالمرضى	١٢٩
٥	الوقفة الخامسة: العبث بالشأن النسائي	١٣٥
٦	الوقفة السادسة: العبث بالأسرة	١٤٣
٧	الوقفة السابعة: العبث بالتناسُل	١٤٧
٨	الوقفة الثامنة: العبث بتقنية الجنين	١٥١
٩	الوقفة التاسعة: العبث بالذات جلداً	١٥٩
١٠	الوقفة العاشرة: العبث بالمظهر	١٦٧
١١	الوقفة الحادية عشرة: العبث الخَلْقي	١٧٣
١٢	الوقفة الثانية عشرة: العبث بالثروة	١٧٧
١٣	الوقفة الثالثة عشرة: العبث بالمركبة	١٨١
١٤	الوقفة الرابعة عشرة: العبث بالسلاح	١٨٥
١٥	الوقفة الخامسة عشرة: العبث بالفُرص	١٨٩
١٦	الوقفة السادسة: العبث بالزمن	١٩٣
١٧	الوقفة السابعة عشرة: العبث بتقنية المعلومات	٢٠١
١٨	الوقفة الثامنة عشرة: العبث بالديمقراطية	٢٠٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الموضوع		الصفحة
١٩	الوقفة التاسعة عشرة: العبث اليهودي	٢١٣
٢٠	الوقفة العشرون: العبث بالأذهان	٢١٩
-	مراجع ثقافة العبث	٢٢٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التمهيد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على سيِّد الأوَّلين

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على عبده ورسوله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين، وبعد؛

فهذه خواطر تتمحور حول النظرة إلى الأشياء بمنظار يسعى إلى معالجة ما يبدو أنَّه استهتار في التعامُل، بما في ذلك سوء استغلال الإمكانات الماديِّة والعلمية والفكرية، ممَّا يمكن أنْ يدخل فيما يسمَّى بالعبث بما له صلة بالمُثُل والقِيَم والسلوكيات المتعارَف عليها ثقافيًا، أو دوليّاً أو إقليميًّاً أو محليًّاً، دون إعطاء اعتبار لمشاعر من تعنيهم هذه المُثُل والقِيَم، أو المتلقِّين لها، أو الداعين إليها. بل إنَّه ربَّما ينظر إلى أنواع من العبث على أنَّها مقصودة؛ لجرح مشاعر المعنيين بها. وينظر إلى بعضها على أنَّها ترجمةٌ للتمرُّد أو الاستهتار من أوضاع قائمة على موروث شعبي محلِّي، لا يتَّفق، بالضرورة، مع معطيات حضارية يريد المجتمع أنْ يلحق بها.

من هذا المنطلق تأتي هذه الوقفات حول ثقافة العبث في الأفكار وفي السلوكيات. وكان أصلها إسهاماتٍ في الصحافة

السعودية، في مُدد مختلفة، جمعها جميعًا ما ظهر عليها من التركيز على العبث في النظرات والممارسات، تيسَّر جمعها في هذا الكتاب، بعد أنْ جرى عليها قدرٌ لا بأس به من المراجعة وإعادة التحرير، وتحديث المعلومات، وتوثيقها من مصادرها، التي سبق الاستئناس بها.

ليس المقصود بالفاقة الفقر والعوز الجانبَ المادِّي فحسب، بل المقصود الفاقة بشموليَّتها هنا، بحيث تشمل الخواء الروحي والعوز النفسي والتربوي والاجتماعي. وهذا يعني أننا نعيش هذه الفاقات، رغم أنَّنا لا نتعايش معها، وننكرها نظريًا. ومن ثمَّ جاء ت المعالجة نقدًا اجتماعيًا لمظاهرَ لا ينبغي أنْ تكون في الأحوال العادية، فما بالك بأحوال الفاقة والعوز، بالمفهوم الشامل للفاقة والعوز. ولقد حاولتْ هذه الوقفات أنْ تتجنَّب الأسلوب الوعظي والنظرة المثالية المجرَّدة، رغم أنَّها لا تتبرَّأ منهما، إذ تجنُّب الوعظ والمثالية يرمي إلى التوكيد على عدم تأهيل هذا الكاتب لهذا النمط من الطرح.

ظهر على المعالجات اختلاف جذري في طريقة المعالجة في هذه الوقفات، بحيث لا تخدش مشاعر العابثين، الذين خدشوا مشاعر من استُهدِفوا من هذه الممارسات العبثية. إذ إنَّ خدش مشاعر المستهدفين لا يستدعي، بالضرورة، المعاملة بالمثل، فالعدل والقسط مطلوب في هذه المواقف، لاسيَّما عندما يتعلَّق الطرح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالتعميم في إطلاق الأحكام، فالعابثون لا يمثِّلون، بالضرورة، غيرَهم ممَّن يلتقون معهم ثقافيًا وفكريًا. وفي بعض الحالات لا يكوِّن العبث ظاهرة مجتمعية أو ثقافية، يمكن الاستدلال بها على عبث المجتمع أو الفكر.

تجنَّبت هذه الوقفات، أيضًا، الخوض في المفهومات، ومنها مفهوم الثقافة، الذي نال قسطًا وافرًا من التعريف، فاق المئتي محاولة، ومن ذلك الافتتان بالكلمة، بحيث أضحت كلمة "ثقافة" تطلق على معظم ما يمثِّل ظاهرةً فكرية أو سلوكية سائدة، فقيل ثقافة الحوار، وثقافة الجوَّال، وثقافة التدخين، وهي، هنا، أقرب ما تكون إلى الأدب، بالمفهوم الأشمل للفظة أدب. ولعلَّ القارئ يستنتج من هذه الإلصاقات أنَّ هناك إحلالاً للثقافة محلَّ الأدب، أي أنَّ مصطلح الثقافة قد حلَّ مكان مصطلح الأدب، ، ذلك المفهوم الذي عرَّفه أسلافنا، من أهل الأدب، "الثقافة" بأنَّه: الأخذ من كلِّ فنٍّ بطرف. والمطلوب من مثقَّف اليوم أن يكون أديبًا، أي أن يأخذ من كلِّ فنٍّ بطرف.

جاءت هذه الوقفات على قسمين؛ تركَّز القسم الأوَّل، عشرين وقفة، على العبث في العلوم والآداب والفنون، وتركَّز القسم الثاني، في عشرين وقفة أخرى، على العبث في السلوك الاجتماعي العامِّ.

إذ أقدِّم هذه الوقفات للقارئ الكريم، لا يفوتني في هذا التمهيد أنْ أشكر كلَّ من أسهم معي في السعي إلى استقامتها، فكرًا وأسلوبًا، وأخصُّ بالشكر والامتنان أخي الشيخ يوسف بن إبراهيم النملة على وقفته النقدية، وإسهامه في تصويب بعض الطروحات التي وردت في هذه الوقفات. وكان الله في عون الجميع.

علي بن إبراهيم النملة

الرياض

١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القسم الأول

عبثيات في العلوم والثقافة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الأولى:

العَبَث بالضوابط

لو أراد المرء الملاحقة لصنوف العبث لوجد مجالاً رحبًا يملأ الصفحات، قد يملُّ معها، القارئ، في النهاية أو قبل النهاية. الذي أودُّ الوصولَ إليه هو أنْ نركِّز على ضرورة دوام وجود مرجعية لبيان العبث والحدِّ منه، وربَّما التقليص، أو التخلُّص منه، ذلك أنَّه:

لاَ يَصْلُحُ الْقَوْمُ فَوْضَى لاَ سَرَاةَ لَه

وَلاَ سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا

وذلك أنَّه أيضًا:

إِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلاَقُ مَا بَقِيت

فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاَقُهُمْ ذَهَبُوْا

وذلك أنَّه كذلك:

إِذَا الإِيمَانُ ضَاعَ فَلاَ أَمَانٌ

وَلاَ دُنْيَا لِمَنْ لَمْ يُحْيِي دِيْنَا

المرجو من القارئ، الذي يرغب في المزيد من هذه الضوابط، العودة إلى الجزء الثامن والعشرين من فتاوى ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حيث خُصِّص هذا المجلَّد للجهاد في سبيل الله، بالمفهوم الشامل لمعنى الجهاد، وجعل من الجهاد في سبيل الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[1]

هذا أمر كفيل ـ بإذن الله ـ أنْ يحدَّ من صنوف العبث في الأخلاق والسلوكيات الخاصَّة والعامَّة، ذلك أنَّ ابن تيمية يُقنع القارئ، عقلاً، أنَّه إنْ لم يؤمرْ بالمعروف ويُنْهَ عن المنكر، أُمِر بالمنكر ونُهي عن المعروف، وأنَّ هذه شعيرة قديمة قدمَ رغبة الإنسان في الخير والاستقرار، وابتعاده عن الشر، كانت موجودة عند من كان قبلنا، وهي موجودة، الآن، عندنا ـ بحمد الله ـ، وهي كذلك موجودة عند غيرنا من الأمم التي ملَّت من التجاوزات والعبث في السلوكيات الاجتماعية، فأوجدت الجمعيَّات والمنظَّمات والتنظيمات التطوُّعية، التي تسعى إلى الحدِّ من هذا المنكر في عُرف تلك المجتمعات.

ظهرت لذلك تنظيرات ودراسات ومؤسَّسات شعبية ورسمية، تسعى، في نهاية مطافها، إلى الحدِّ من العبث الذي بدأت تظهر

(١) انظر: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية. **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية**. ـ ٣٧ مج/ جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي ومحمَّد ابن عبدالرحمن بن قاسم. ـ الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م. ـ ٢٨: ١٢١ ـ ١٧٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آثاره على هذه الأمَّة وعلى تلك، مما سبَّب في مؤشِّرات لضياع الأجيال الناشئة، التي بتصرُّفاتها هذه لا تضيِّع نفسها، ولكنها تضيِّع أمَّتها، ويدخل في ذلك العبث في تاريخها، ومعطياتها الحضارية، وموقعها من الكونية القائمة الآن. من مواجهة هذا العبث الاعتراف بأنَّ هناك قدرًا منه بدأ يتفشَّى، لكنه كان نتيجة لجهود عابثين قديمة جدًا، ليست وليدة هذه التقليعة أو تلك الطارئة.

حيث إنِّني أدَّعي وصلاً بالاستشراق والتنصير، أدرك أنَّ هناك جهودًا مبذولة أدَّت، فيما أدَّت إليه، إلى أصناف من العبث على مختلف المستويات الثقافية والفكرية، بل والعلمية، ولم تسلم المجتمعات والأفراد من هذا العبث، ممَّا يؤكِّد ضرورة تدخُّل المرجعية القوية بقوَّة السلطان والقرآن، تكون مهمَّتها تقليص الجهود الرامية إلى هذا التوجُّه، سعيًا للقضاء عليها، بحيث تعيش الأمَّة من منطلق: اعمل لدنياك كأنَّك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنَّك تموتُ غدًا، فالدنيا لها متطلَّبات، والآخرة لها متطلَّبات، ومتطلَّبات الدنيا هي مطيَّة متطلَّبات الآخرة. وهامش المباح في الدنيا واسع جدًا، فلِمَ اللجوء إلى غير المُباح؟

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الثانية:

العَبَث بالدِّين

من الأمور المهمَّة التي لها تأثير على النظرة إلى الحياة والوجود تلك النظرة التي تستمدُّ مقوِّماتها من منطلق انتمائي، هو في حالنا يقوم على الدين. ونعلم أنَّ الإسلام هو خاتم الأديان، وأنَّه قائمٌ على العلم، فهذا الدين علم، وفي الحديث الشريف دعوة قوية مؤكَّدة على مَن يؤخذ عنه هذا الدين.

تولَّى الحديثَ عن الدين وعلومه، بصورة سلبية، فئةٌ ممَّن يُعَدُّون من العابثين، ممَّن لا ينتمون إلى هذا الدين بالضرورة، أولئك الذين قيل عنهم، عبثًا، إنَّهم قد فهموا الإسلام أكثر من فهم أهله له! ولعمري إنَّها لعبارة غير موزونة، وربَّ كلمةٍ قالت لصاحبها دعني.

أولئك القوم الذين مارسوا العبث في علوم الدين هم من فئة المستشرقين، الذين لا ينتمون إلى الدين الذي يتحدَّثون عنه،[1] وفي ذلك يقول فاخ، وهو منهم: «إنَّ الانتماء والالتزام بالدين

(١) علي بن إبراهيم الحمد النملة. ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات. ـ ط ٢ ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ٢١٠ ص.

للباحث في الأديان لاشكَّ يؤثِّر على فهمه لها ويحدِّده، ولكنه في الوقت نفسه يمكِّنه من أنْ يكون حسَّاسًا تجاه البعد الروحي للأديان، دينه ودين الآخرين على السواء».[1] وفاخ هذا أسهب في الحديث عن نظرية الفهم في علم تاريخ الأديان، استعرضها محمَّد خليفة حسن في كتاب له بعنوان: أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر.[2]

جاء العبث في علوم الدين من لدن بعض المستشرقين بسبب ما اتَّسم به الاستشراق، في بداياته، من التحيُّز ضدَّ الإسلام؛ لأسباب كثيرة ذاتية وظرفية. ومن ثمَّ فإنَّ الاستشراق «لم يصل في الماضي إلى فهم جيِّد للإسلام كدين وحضارة، ولن يتمكَّن من الوصول إلى هذا الفهم في الحاضر والمستقبل، طالما سيطرت عوامل التحيُّز المختلفة على عقل المستشرق ووجدانه.

للأسف الشديد أنَّ الإسلام لم يستفد، كما استفادت الأديان الأخرى، من التقدُّم العلمي في مجال تاريخ الأديان، فمؤرِّخو الأديان انصرفوا عن دراسة الإسلام، وأهملوه إهمالاً كاملاً، فلم يستفِد من الموضوعية التي حقَّقوها في مجال علم تاريخ الأديان،

(١) محمَّد خليفة حسن. **أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر**. الرياض: جامعة الإمام محمَّد ابن سعود الإسلامية؛ عمادة البحث العلمي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ص ٢٥٩.

(٢) محمَّد خليفة حسن. **أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر**. المرجع السابق. ٤٧٠ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتركوا الإسلام للمستشرقين، الذين لم يستفيدوا من علم تاريخ الأديان في موضوعيته. وانفردوا بالإسلام، يمارسون معه كلَّ أشكال التحيُّز الممكنة.

لا أملَ في إصلاح الحال طالما استمرَّ الاستشراق على حاله تتحكَّم فيه دوافعه وأهدافه غير العلمية».[1]

هذه وجهة نظر عالِم من علماء نقد الاستشراق المعاصرين هي جديرة بالتأمُّل، مهما بدا عليها من نظرة غير متفائلة حول الاستشراق، ممَّا يؤكِّد أنَّ هذا المنحى في دراسة الإسلام قد أسهم في منظومة العبث في علوم الدين، مما يحتاج معه إلى أكثر من وقفة، منها ما يركِّز على بعض أولئك الذين تأثَّروا بهذا المنحى في فهم الدين من أبناء الدين نفسه، ورأوا من الدين على أنَّه مقيِّد من مقيِّدات التقدُّم الحضاري، بما في الحضارة من مقوِّمات فكرية وثقافية، لا تقتصر على النظرة الماديّة للحضارة، فكان أن وقف بعض المفكِّرين وبعض الساسة يصدُّون عن الدين، ويسعون إلى إسباغ هالة من التسيُّب والانفلات، سعيًا منهم إلى ترسيخ وجودهم، وهم لم يكونوا، بالضرورة، على صلة قوية بعلوم الدين، وإنْ كانوا يدَّعون أنَّهم

(١) محمَّد خليفة حسن. أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر. . المرجع السابق. . ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

على صلة أقوى بالفلسفة، مما حدا بهم إلى تفسير الدين، والقرآنُ الكريم مصدرُه، تفسيرًا فيه من التأثُّر بالمنحى الاستشراقي ما فيه.[1]

☆ ☆ ☆

(١) انظر مثلاً: إسهامات نصر حامد أبو زيد في التعامُل مع النصِّ القرآني الكريم، ومنها: **مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن**.. ط ٢.. بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤م.. ٣١٩ ص. **والاتِّجاه العقلي في التفسير: دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة**.. ط ٢.. بيروت: دار التنوير، ١٩٨٣م. **وفلسفة التأويل: دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي**.. بيروت: دار التنوير، ١٩٨٣م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الثالثة:

العَبَث بعلوم الدين

من الحديث عن العبث في علوم الدين عند المستشرقين إلى الحديث عن العبث في علوم الدين لدى بعض المسلمين، الذين تأثَّروا بطروحات المستشرقين، وزعموا أنهم فهموا الإسلام أكثر من فهم أهله له، وتأثَّر المسلمون بالمنحى الاستشراقي في فهم الدين عندما أخضع المستشرقون بخاصَّة، وعلماء اللاهوت بعامَّة، الدين إلى النقد على اعتبار أن الدين - عندهم - نصوص مأثورة عن بشر، وكلام البشر يؤخذ منه ويردُّ، ويعتريه الصواب والخطأ، حتى ظهر عندهم علم نقد الكتاب المقدَّس. فطبَّقوا على الدين الإسلامي قضايا النقد اللاهوتي، الذي مارسوه في ديانتهم على وجه الخصوص.

لعل هذا ناتج عن الشعور بأنَّ الكتاب المقدَّس في عهديه القديم والجديد قد تعرَّض للتحريف. وتأثَّر بهم بعض أصحابنا، بعلم منهم في الغالب، أو دون علم، فظهرت أعمال لمستٍ النصَّ القرآنيَّ، وسعت إلى نقده، متجاهلة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤١-٤٢).

من أسباب ذلك العبث في النصوص الشرعية الثابتة، ثبوتًا قطعيًا نصًّا ودلالة،، أنَّ أصحابنا تتلمذوا على فئة من المستشرقين واللاهوتيين، في مجال مقارنة الأديان، فأخذوا عنهم هذه الجرأة على النصوص.

في سماء الثقافة العربية والإسلامية أسماء معاصرة، ومنهم أحياء يرزقون، ممن خاضوا في هذا، وأصدروا المقالات العلمية والكتب التي تعالج النصَّ بصورة عبثية، لم يشهد التراث العربي الإسلامي لها مثيلاً بهذه الجرأة، وإنْ وجدت رؤىً وأفكارٌ ذات علاقة بالتأويل والتعطيل والتمثيل والتشبيه والتكييف، مما لا يدخل - بالضرورة - في هذا المفهوم السطحي للعبث بالنصوص الشرعية.

حول ولوج أصحابنا هذه المتاهة يقول ولفرد كانتول سميث في كتاب له بعنوان: الإسلام في التاريخ الحديث: «وقد سافر كثير من الشباب المسلم إلى الغرب، واطَّلعوا على روح أوروبَّا وقيمها، وأعجبوا بها إلى أبعد حدٍّ. وينطبق هذا بخاصَّة على الطلاب الذين درسوا في جامعات أوروبَّا بعدد لم يزل يزداد مع الأيام، وهم الذين سبَّبوا استيراد كثير من أفكار الغرب وقيمه إلى العالم الإسلامي ... وكان مما صدَّره الغرب إلى العالم الإسلامي تلك الأفكار المتعدِّدة والاتِّجاهات العقلية الدقيقة الفجَّة والميول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحديثة التي كان في نشرها أوفر نصيب لنمط التعليم الغربي، ويفوقها في ذلك تأثير معاهد الغرب الحقوقية والسياسية والاجتماعية ونفوذها الزائد ... وهكذا أثَّرت عملية التغريب بسرعة وقوَّة بالغتين».(١)

مثل هذا ما قاله موريس بوكاي في كتابه المشتهر الكتب السماوية والعلم، الذي شاع لمدَّة من الزمان وكأن مفكِّري العرب قد تناسوه، الآن، مع ما فيه من فائدة وعلم قابل للامتداد في التأثير زمانًا ومكانًا.(٢)

ترددَّت كلمة أصحابنا رغبة عن ذكر الأسماء لأشخاص يُرجى لهم الرجوع إلى الحقِّ، على اعتبار أنَّ الرجوع إلى الحقِّ خير من التمادي في الباطل.

يظلُّ العبث في النص الشرعي بخاصَّة، وفي علوم الدين بعامَّة، قائمًا ما قام هذا الدين، وأنْ يعبث به الغرباء عنه لدوافع وأهداف معلنة وغير معلنة، فهذا أمر قابل للفهم، فقد عبثوا بالنص وهو ينزل، لكن أنْ يتصدى للعبث به أبناء جلدته فهذا أمر

(١) محسن عبدالحميد. **أزمة المثقَّفين تجاه الإسلام**.. القاهرة: دار الصحوة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.. ص ١٣١. نقلاً عن: محمَّد خليفة حسن. **أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر**.. مرجع سابق.. ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٢) موريس بوكاي. **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدَّسة في ضوء المعارف الحديثة**.. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨م.. ص ١٤١.

يحتاج إلى تأمُّل. وتظل الهداية من الله تعالى، وأحدنا لا يملك أن يهدي من أحبَّ،﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾(البقرة: ٢٧٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الرابعة:

العَبَث بالتاريخ

من العبث في علوم الدين، والدين نفسه، إلى العبث بالتاريخ عامَّة، والتاريخ الإسلامي بخاصَّة، إذ إنَّ بعضًا من المؤرِّخين الأجانب من المستشرقين والأدباء العرب من غير المسلمين، قد أساءوا إلى التاريخ الإسلامي إساءة متعمَّدة، في المجمل، لا في الكُلِّ، ساعدهم في ذلك تلك الموضوعية في السرد التاريخي التي لجأ إليها بعض المؤرِّخين والمفسِّرين من المسلمين، والمؤرِّخين من غير المسلمين، كالطبري والقرطبي وابن كثير والمسعودي وابن الأثير، وغيرهم عندما أدخلوا في سردهم التاريخي، وفي تفسيرهم، بعض الأخبار الإسرائيلية التي بثَّها اليهود في ثنايا توثيق الأحداث والأخبار.[1]

ثم يمضي الزمان ويظهر علينا كُتّابٌ وأدباء ومؤرِّخون في نهاية القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين الميلاديين. ويدرك المؤرِّخون والمختصُّون هذا الدسَّ على التاريخ

(١) انظر: علي حسني الخربوطلي. **المستشرقون والتاريخ الإسلامي**. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م. - ١٣٧ ص. - (سلسلة تاريخ المصريين؛ ١٥).

الإسلامي، ويعالجونه في بحوثهم ودراساتهم وندواتهم ومؤتمراتهم، ليبقى محصوراً بينهم. وبقاء الردود محصورةً بين المختصِّين يفوِّت الفرصة على المتابعين من القرّاء المحبِّين للتاريخ، دون أن يكونوا من المختصِّين. فيظهر من هؤلاء القُرَّاء كُتّاب، لهم بدورهم قُرّاء، قد تكون كتاباتهم محصورة على الصحافة السيّارة من جرائد ومجلات ثقافية، ثم يظهر منهم كُتَّاب الروايات التاريخية، التي يبحث عنها المنتجون والمخرجون في أجهزة الإعلام من إذاعة أو تلفزيون.

لأنَّ المشاهِد التمثيلية تحتاج إلى البهارات، تُدخل عناصر العشق والحبِّ والغرام في مشهد تاريخي مصيري لا علاقة فيه، وبه وله، بالعشق والحبِّ والغرام، فيفسد الغرض النبيل من الحادثة التاريخية بسبب هذه "البهارات"، التي لا تكاد تخلو منها قصَّة تاريخية لحلقة واحدة أو لحلقات مسلسلة، حتى يصل الأمر إلى أن تكون الفتوح الإسلامية التي كانت من أسباب انتشار الإسلام قامت لأسباب تتعلَّق بالعشق والغرام.

استعرِضوا - إنْ شئتم - روايات تاريخ الإسلام من إعداد جرجي زيدان، الذي كتب عن تاريخ التمدُّن الإسلامي. وهي سلسلة بدأت أحداثُها من عصر الخلفاء الراشدين إلى سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، مروراً بالحروب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصليبية وموقعة حطِّين، التي أُعيدت أسبابها إلى التعلُّق بفتاة من قبل قادة هذه المعركة من المسلمين، حتَّى عنوانات الروايات كانت مثيرةً، وصورة الغلاف كانت أكثر إثارة، من غادة كربلاء إلى العبَّاسة أخت الرشيد إلى فتاة غرناطة، وما إلى ذلك.(١)

العجيب أنَّ هذه السلسلة من الروايات كانت مقروءة بصورة مذهلة عند خروجها عن دار الهلال للنشر بالقاهرة، الرائدة بمجلَّتها المشهورة، وسلسلة كتاب الهلال المشهورة أيضًا، بما أسهمت به في نشر الثقافة العربية الإسلامية، تلك الدار التي كان لجرجي زيدان، هو وأهله، الفضل في إنشائها سنة ١٨٩٢م.(٢)

ثمَّ تبعه بعضٌ من أصحابنا على هذا النسق الذي لم يسلم منه الأنبياء والرسل، على ما جاء في الإسرائيليات عن داود عليه السلام، وأضحت الإسرائيليات أرضية، أو خلفية، أيِّ ظهارة، كادت أنْ تقترن بالنصِّ القرآني.(٣) بل إنَّ محمَّدًا ﷺ لم يسلم منه، وحيكت حوله ما حيكت حول داود عليه السلام، بفعل تأثير المستشرقين وتدخُّلهم

(١) انظر: عبدالرحمن بن صالح العشماوي. **وقفة مع جرجي زيدان**. - ط ٢ - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. - ١٢٣ ص.

(٢) انظر: أمين بن حسن الحلواني. **نبش الهذيان من تاريخ جرجي زيدان**/ تحقيق مازن صلاح مطبَّقاني؛ تقديم محمَّد السيد الوكيل. - المدينة المنوَّرة: مكتبة ابن القيم، (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م). - ٨٤ ص. - (سلسلة دراسات منهجية للاستشراق؛ ٤).

(٣) انظر: حسني يوسف الأطير. **البدايات الأولى للإسرائيليات في الإسلام**. - ط ٢ - القاهرة: مكتبة النافذة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. - ص ٩.

في تفسير التاريخ، حينما ربطوا بين ما ادّعوه على داود عليه السلام بما ادّعوه أيضًا على محمَّد بن عبدالله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثم القيادات الإسلامية التالية، فاختلقوا لها رمزًا غراميًا، تُدافع عنه، أو تبتغيه، فتثير الحروب من أجله، وتجيِّش الجيوش، وتُعلن الجهاد.

هكذا كان العبث بالتاريخ الإسلامي والفتوحات الإسلامية والرموز الإسلامية، التي اتُّهمت اتِّهامات هي منها براء، فالذي كان يغزو عامًا ويحجُّ عامًا تُحاك حوله قصص اللهو والطرب والشراب، حتى شاع مصطلح "الحريم" لدى المستشرقين، فقالوا إنَّه ـ رحمه الله ـ عندما كان يرقى الدرج كان يتَّكئ على نهود الجاريات![1]

يستمرُّ مسلسل العبث في علوم المسلمين وموروثاتهم، ويتأثَّر بهذا المسلسل بعضٌ من أبنائه، مما يحتاج معه إلى مزيد من الوقفات الهادئة، التي تخاطب العقل بأمثلة حصلت، وحصل لها قدر عالٍ من التحريف.

☆ ☆ ☆

(١) انظر: عبدالقادر طاش. هارون الرشيد.. بلينفيلد، إنديانا: منظَّمة الشباب المسلم العربي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الخامسة:

العبث بالتراث (١)

يتعرَّض التاريخ عمومًا، والتاريخ الإسلامي بخاصَّة، إلى النبش المتواصل من بعض الدارسين غير المنتمين إلى هذه الثقافة. ويظهر مَن يكتب عن تاريخ المسلمين متأثِّرًا بالطرح الاستشراقي لفهم التاريخ، إلى درجة القول بأنَّ هؤلاء المستشرقين المتخصِّصين في دراسة التاريخ، كما تقول الباحثة **مَيُّ الخليفة**: «قد استطاعوا، من خلال بحوثهم وتحليلاتهم، الوصول إلى خفايا تاريخنا القديم، في حين بقينا نحن متمسِّكين بالموروث الملقَّن، وحتى لا نرهق عقلنا بالحقائق اكتفينا باتِّهام أولئك الأجانب بالتلفيق والكذب وتدبير المؤامرات للنيل من العرب والمسلمين.

لقد سبقونا في قراءة الشعر الجاهلي وسبقونا في تفسيره وفي اكتشاف السمات الحضارية في التاريخ الإسلامي. وكتبوا عن عباقرة المسلمين ومناهجهم، وجاؤوا يبحثون عن قبر الحلاَّج وأشعاره، وعرفوا أهمية المدوَّنات الموضوعة والمترجَمة، ونقلوا تراث اليونان إلى أوروبَّا مرَّةً أخرى. وكانت لغة العرب هي الوسيط الناقل!

ربَّما أخطؤوا في المسمَّيات، وربَّما تغاضى البعض منهم (بانحياز مبطن) عن بعض الحقائق، ولكن يبقى الكم الهائل من كتابات أولئك المستشرقين تثير فينا الرغبة في المعرفة وتدعونا أنْ نبدأ بالبحث من جديد».[1] هكذا تستهلُّ الكاتبة المؤلِّفة مي محمَّد الخليفة كتابها: من سواد الكوفة. وتدعو الكاتبة المؤلِّفة إلى تبنِّي المنهج الاستشراقي في دراسة التاريخ.

من أقرب ما يمكن الاستشهاد به في إثارة موضوع الفِرق، التي نشأت في الفكر الإسلامي المستشرق برنارد لويس، ولذا تستشهد المؤلِّفة به في كتاباته عن أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، التي نال بها درجة الدكتوراه.[2]

التعليق على هذا الكتاب ينحو منحىً فكريًّا، لا تعليقًا تاريخيًا، لأنِّي أدعو إلى أنْ نُعطي القوس باريها، ونترك التحليل وتفسير التاريخ للمؤرِّخين المتخصِّصين، الذين يتعرَّضون، بالمناسبة، إلى قدر كبير من التجاهُل في الوقت الراهن لأسباب آنية.

---

(١) مي محمَّد الخليفة. من سواد الكوفة دل إيرانشهر إلى البحرين: القرامطة من فكرة إلى دولة.. بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٩م.. ص ٩ ـ ١٠.

(٢) انظر: برنارد لويس. أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية/ ترجمة حكمت تلحوق.. بيروت: دار الحداثة، ١٩٨٠م. وانظر له أيضًا: الحشَّاشون: فرقة ثورية في تاريخ الإسلام/ ترجمة محمد العزب موسى.. ط ٢.. القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٦م.. ٢٠٣ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لستُ أقفُ لأناقشَ الكاتبة المؤلِّفة مي محمَّد الخليفة في تأثُّرها بالفكر الاستشراقي؛ إذ إنَّها ليست الأولى في ذلك، ولا أظن أنَّها ستكون الأخيرة فيه، فقد قيل قبلها ما لم تقله هي، ولا أظنها تقوله، بأنَّ الاستشراق قد فهم الإسلام نفسه أكثر من فهم أهله له، وأعمق من فهمهم له - كما مرَّ ذكره .. وهذا قول ينسحب على مرِّ العصور الإسلامية.

الذي يسترعي الانتباه عند قراءة المنهج الاستشراقي في فهم التاريخ الإسلامي هو تطبيق منهج الإسقاط في هذا الفهم، إذ إنَّ الاستشراق، وتبعه بعضٌ من المتأثِّرين به، يُسقِطون التاريخ الإسلامي على حالين: الحال الأولى هي التاريخ الغربي، بما كان فيه من مؤامرات وظلم وجور وإقطاع، وغيره.

الحال الثانية هي واقع الحال المعاصر الغربي، كذلك، بما يكنُّه للإسلام والمسلمين من مشاعر لم يوفَّق في إخفائها، بما في ذلك إسقاط حال المسلمين اليوم على حالهم بالأمس، وحال المسلمين اليوم المعاصر ليس كما حالهم بالأمس الماضي على الإطلاق، وإنْ مرَّ على المسلمين أحوال هي أشدُّ مما هم عليه الآن، مع أنَّ حالهم اليوم شديدة.[1]

(١) انظر: شوقي أبوخليل. **الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين**. . دمشق: دار الفكر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. . ٢٤٠ ص.

دراسة التاريخ وفهمه وتفسيره مطلب مُلِحٌّ، فما قاله أرباب هذا الفن من السالفين ممن لهم فضل نقل الأخبار ليس كله كلامًا مسلَّمًا فيه، كما يعلم أهل الاختصاص. ولعلَّ من أهمِّ متطلَّبات تفسير التاريخ هو تبنِّي المنهج التاريخي في الفهم والتفسير والتحليل والنقد، وإذا اقترن ذلك بالانتماء لهذا التاريخ كان التحليلُ غيرَ التحليل الذي أطلَّ علينا به رهط من المستشرقين، وتأثَّر به بعضٌ من إخواننا وأخواتنا.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة السادسة:

العَبَث بالتراث (٢)

بدأ الحديث عن كتاب المؤلِّفة مي بنت محمَّد الخليفة: من سواد الكوفة إلى البحرين من منطلق فكري،[١] لا من منطلق علمي تخصُّصي، أُخذَ فيه على الكاتبة اتِّكاؤها على المستشرقين عمومًا، وعلى كل من برنارد لويس ودي خويه بخاصَّة، حيث كتبا عن الموضوع الذي ركَّزت عليه المؤلِّفة، بالإضافة إلى اتِّكائها على محمَّد أركون ومحيي الدين اللاذقاني، وسمَّته في الحواشي محيي الدين اللاذقي، وردَّته إلى اسمه الأصلي في قائمة المراجع، ثم رجعتْ إلى أمَّهات الكتب الأخرى، وهؤلاء سبقوها في الكتابة عن الموضوع نفسه. والحقُّ أنها، علميًا ومنهجيًا، قد توسَّعت في الرجوع إلى المصادر ثم المراجع.

أُركِّز على الناحية الفكرية في اتِّكائها على المستشرقين، لاسيَّما عند حديثهم عن الفِرق، والقرامطة على وجه الخصوص. وجاء في سردها للأحداث تسويغٌ لما قام به القرامطة، حتى

(١) مي محمَّد الخليفة. من سواد الكوفة دل إيرانشهر إلى البحرين: القرامطة من فكرة إلى دولة.. مرجع سابق.. ٣٧٨ ص.

احتجازهم للحجر الأسود في هَجَر لمدة اثنتين وعشرين سنة، مرَّ عليها، أو مرَّت عليه، مرور المسوِّغين لأعمال غير قابلة للتسويغ.

الاتِّكاء على المستشرقين وعلى المحسوبين عليهم، يوقع الباحث في مزلق البعد عن الانتماء للتاريخ، أو البيئة التي يكتب عنها. ومهما حاولنا رصد الحسنات التي جاء بها المستشرقون إلا أنَّنا لا نملك الخروج عن الانطباعة التي تؤيِّدها إسهامات موجودة أنَّ المستشرقين لم يكونوا جميعًا، طوال إسهاماتهم هذه، إيجابيين مع التاريخ الإسلامي، وغالبهم كان كذلك، وليس كلهم.

الزعم بأنَّهم فهموا تاريخنا أفضل من فهمنا له زعمٌ له أسبابه الذهنية في عقول المتأخِّرين من علماء التاريخ والحضارة والكاتبين حولها، جلِّهم، وليس كلَّهم، حتى أصبح من متطلَّبات الكتابة العلمية عن التاريخ الإسلامي رصد مراجع باللغات الأخرى، في نهاية العمل العلمي، وإنْ يكن صاحبه لا يجيد أيًا من هذه اللغات، ولكن الأمين من هؤلاء هو الذي يلجأ إلى المترجمين.

لست خائضًا، مرَّة أخرى، في عمق التاريخ، والنظرة إلى الموضوع الذي طرقته الكاتبة المؤلِّفة، ولكني أنتقدها في منهجيتها التي سارت عليها، واستعملت أسلوب التسويغ لما حلَّ بالتاريخ الإسلامي، من الخروج على الخلافة، في مركزها الرئيس، في دمشق ثم في بغداد، وشقِّ عصا الطاعة، ممَّا له حكم في الشرع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإسلامي، لا يحسُن الخوض فيه كذلك، وإنّ كثُر اليوم الخائضون في أحكام الشرع، دون بضاعة تذكر.

على أيِّ حال، وللاحتراز مرَّة أخرى، فإنَّ هذه الوقفة، وسابقتها، لا تحجر، ولا تملك الحجر، على الفكر والأفكار، والرغبة في إعادة قراءة التاريخ بعامَّة، والتاريخ الإسلامي بخاصَّة ما دام أنَّ عامل الانتماء موجود، وما دامت معايير هذا الانتماء مطبَّقةً على إعادة قراءة التاريخ.

إنَّ الانبهار بالآخر سمة غلبت على عدد من أنماط حياتنا، حتى الحياة الفكرية والثقافية والعلمية لم تسلم منه، ومردُّ هذا عوامل عدَّة، لا أظن أنَّها تغيب عن فطنة القارئ. إنَّنا نحتاج إلى مزيد من الوقت لتخطِّي مرحلة الانبهار هذه.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة السابعة:

العَبَث بالفتوى

من العبث بعلوم الدين لدى المستشرقين، ومن حذا حذوهم من أصحابنا، ممن تأثَّروا به، من هذا العبث إلى العبث بالدين نفسه من أصحاب آخرين لنا استسهلوا الولوج في قضايا دينية، تحتاج إلى أحكام شرعية وفتاوى واجتهادات، لا يقوم بها إلا المؤهَّلون علميًا، لاسيَّما أنَّ هذا الدين علمٌ لا دخلَ قويًا للعاطفة فيه والرؤى الشخصية، غير المبنية على علم بقواعد العلم والمعرفة لدى ذوي الاختصاص.

نحن هنا نقف أمام توجُّهين؛ كل واحد منهما في طرف، التوجُّه الأول هو ذلك التوجُّه من فئة من المخلصين، الذين لا يريدون أنْ يسلكوا سلوكًا إلا وقد عرفوا الحكم فيه. وهذا أمر طيب ومقبول، بل إنه مطلوب، إلا أنَّ هذا الهاجس قد زاد عن حدِّه عند فئة من الناس الحذرين، حتى لقد وصل الأمر عند هذه الفئة إلى أنْ ترى أنَّ الأصل في الأشياء هو المنع، بينما من الأصول، لدى أهل الأصول، بالمفهوم الإسلامي للأصوليين، أنَّ الأصل في الأشياء هو الإباحة، وإنَّما يأتي المنع بموجب النصوص الشرعية.

هذه قاعدة أصولية معروفة، لكن بعض الذين يعرفونها نظريًا قد تحصل منهم تجاوزات معها، بحيث تنقلب الآية في واقعهم العملي وسلوكياته اليومية. ألا ترون أنَّه عندما يُنهى شخص عن فعل شيء، يقابل ذلك بسؤال استنكاري يصبُّ في الرغبة في معرفة ما إذا كان هذا الفعل حرامًا! فيتردَّد السؤال الذي تعوَّدنا عليه: وهل هذا الفعل حرام؟

تنزع هذه الفئة من إخوتنا وأخواتنا إلى التشديد في الأمور كلها، ولكن الشخص المشدِّد لا يقدِّم نفسَه على أنَّه مشدِّد، بل إنَّه، أو إنَّها، ترى نفسها تسير على الخطِّ الذي ينبغي السير عليه، وربَّما اتَّهم نفسه مع ذلك بالتقصير، مما يوحي بأنَّ لديه الرغبة في المزيد من التشديد. يقول سفيان الثوري (إمام الحفَّاظ، الكوفي المجتهد، ت ١٢٦هـ/ ٧٤٣م): «إنَّما العلمُ عندنا الرُّخصةُ من ثقةٍ، فأمَّا التشديدُ فيُحسنه كلُّ أحد».[1]

لست ممَّن يعالج هذا قطعًا، إذ العلاج بأيدي العلماء الذين نذروا أنفسَهم وأوقاتهم لخدمة هذا الدين، خدمة مباشرة، ذات علاقة قوية بعلوم الدين في العقيدة والفقه، فقه العبادات وفقه المعاملات. على أنَّ هذه الفئة لا تخلو من الرغبة في طلب العمل

(١) ذكره النووي في: **المجموع**: (١: ٨٠)، والخطيب البغدادي في: **الفقيه والمتفقِّه**، **والموسوعة الفقهية الكويتية**: (١٤: ٢٤٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والتفقُّه في الدين، ولكنها ربما استعجلت الوصول إلى الهدف دون إعداد العدَّة له.

الفئة الأخرى هي تلك الفئة، ذات التوجُّه الآخر، التي نهجت مبدأ «افعل ولا حرج». وهذا نصٌّ محترم مقدَّر، قاله المصطفى ﷺ في الحجِّ، لكنَّ بعض أصحابنا يريدون تعميمه على مناحي الحياة كلِّها، ويصدر هذا منهم، كذلك، دون استناد إلى علم شرعي. ونشاهد هذه الظاهرة قد زادت أو كثرت، ربما بفعل تنامي قنوات الاتِّصال من الفضائيات وشبكات المعلومات، ورغبة بعض هذه القنوات القضائية بتخصيص وقت للدين في برامجها، ودون الولوج في المقاصد، تعمد بعض القوات إلى إثارة الموضوعات ذات الحساسية، وتجعل من بعض أصحابنا من ذوي البضاعة العلمية المتواضعة يخوضون فيها.

من منطلق الرغبة في إبداء الرأي نجد بعضًا منهم يطلق الأحكام المبنية على الرأي، التي ربَّما كان الرأي فيها موجَّهًا من العقل البشري، المحدود بالزمان والمكان والخلفية الذاتية لهذا الشخص، الذي ينبري لمسائل علمية لا سلاح علميًّا معه لها.

يبدو أنَّ هذا نوع من العبث في الدين، دون الولوج - مرَّة أخرى - في المقاصد فإنَّ علمها عند الله تعالى. ولكنَّنا نملك قدرًا من الفطنة والكياسة والقدرة على المقارنة، التي تمكِّن من معرفة

ما لدى هذا الشخص المخلص من علم شرعي، ويطلب من هؤلاء أنْ يتَّقوا الله تعالى، فلا يُضلِّوا الناس بالآراء والأفكار، التي قد يرون أنَّها تدخل في مفهوم سماحة الإسلام.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الثامنة:

العَبَث بالأحكام

هذا الدين دين السماحة، ولا أحدَ يشكِّك في ذلك، ولو لم يكن دينًا سمحًا لما كان هذا الإقبال عليه على مرِّ القرون، دون الأديان والملل والنِحل الأخرى، التي تنفق المليارات (بلغت لدى المنصِّرين ما يزيد سنويًا عن ٣٢،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠) دولار، في سبيل تشبيت الناس على هذه الأديان والملل والنِحل، مما دعا هذه التوجُّهات إلى أنْ تسعى إلى الحيلولة دون دخول أتباعها في الإسلام، وهذا أمر يطول الحديث عنه، وهو مبسوط في عدد هائل من الكتب التي تعالج القضية بتفصيل دقيق يحسن متابعته،[1] وهي جهود تتلخَّص في ثلاث نقاط:

١- السعي إلى إدخال المزيد من الأشخاص في هذه النِحل والملل والأديان، سوى اليهودية التي لا تتبع أسلوب التهويد.

٢- السعي إلى حماية أتباعها من الدخول في الإسلام، أو الخروج من دينها وملتها أو نحلتها.

(١) انظر: إحصائية التنصير للعام ٢٠٠٣: ٣٢٠ بليون دولار تبرُّعات للأغراض الكنسية.. الكوثرمج ٣ ع ٤٢ (صفر ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م).. ص ٣٤.. نقلاً عن نشرة أبحاث التنصير الدولية International Bulletin of Missionary Research.

٣- السعي إلى منع الآخرين ممن لا ينتمون، بالضرورة، إلى هذه الملل والنِحل من الدخول في الإسلام.

هذا دليل قوي على سماحة هذا الدين، وقدرته، بقدرة الله تعالى، على تحقيق التطلُّعات الروحية والمادية للإنسان مما يحقّق له الأمان النفسي والاستقرار الاجتماعي.

لا بُدَّ من التوكيد، دائمًا، على سماحة هذا الدين. وكان هذا الطرح هو الغالب على هذه الوقفات، فتأتي هذه الوقفة لتؤكِّد على ذلك، ثم إنَّها تؤكِّد، كذلك، على التفهُّم الكامل لمفهوم السماحة التي تقوم على الاعتدال والوسطية، ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(البقرة ١٤٣).

علماءُ الأمَّة يدركون مدى الاعتدال والوسطية، ومن ثمَّ فهم يدركون معنى التشديد والتسيُّب، فلا التشديد مطلوب، ولا التسيُّب، باسم السماحة والاعتدال والوسطية، مطلوب. فهناك حدود لهذه المفهومات، تُفهم بالتعلُّم لا بالحدس أو تحكيم العقل الفردي المحدود دائمًا. وعليه فإن التبشير بسماحة الإسلام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واعتداله ووسطيَّته مطلب مُلِحٌّ، ولكن من أولئك الذين أعطاهم الله تعالى الفقه في ذلك، بعد العلم فيه.

لعلَّه لا يفهم من هذا الحجرُ على الأمَّة، ولكنه الأولى أنْ يفهم أنَّ هناك أصحابًا لنا قد أساؤوا إلى الإسلام، باسم السماحة والاعتدال والوسطية، فمالوا، بحسن نيَّة غالبًا، وبسوء طوية نادرًا، إلى تخطِّي بعض الأحكام، لاسيَّما أحكام المنع، وسعوا إلى الالتفاف حولها. ويصدق هذا في العبادات وفي المعاملات، بما فيها البيوع.

إذا كان الغلوُّ والإفراط في التشديد يولِّد غلوًّا وإفراطًا في التسيُّب، فإنه في الوقت نفسه يتأكَّد أن الغلوَّ والإفراط في التسيُّب قد يولِّد غلوًا وإفراطًا في التشديد، ولكل فعل ردُّ فعل.

إذا كان المرء، أو جماعة من الناس، ترغب في ارتكاب معصية، فإن ذلك وارد على مرِّ القرون، ولكنها معصية لا تسوِّغ تحويلها إلى غير معصية، بحيث يكون هذا الفعل مباحًا بحجَّة سماحة الإسلام واعتداله ووسطيَّته، إذ إنَّ هناك أمورًا مقرَّرة محسومة، واضحًا فيها الحكم.

الذي يحصل، أحيانًا، أنَّ هذا المرء، أو هذه الجماعة، يقرُّون بالمبدأ من أنَّه معصية، ولكنهم يخرجون الفعل الذي يرغبون في

ارتكابه من هذا المفهوم. وهذا، مع أنَّه معصية، إلا أنَّه أهون من أولئك الذين لا يرون أنَّ هذا الفعل بذاته معصية، من خلال المفهوم نفسه، مما قد يدخل في إباحة ما حرّم الله. والمهم في هذا كله النزوع إلى سماحة الإسلام واعتداله ووسطيَّته، والتوكيد على ذلك، بالمفهوم الشرعي لذلك، لا بالمفهوم الذاتي.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة التاسعة:

العبث بالمعتقد

منذ الخليقة، وفي بداياتها، والإنسان إذا رزق بالمولود تكوَّنت عنده عناصرُ ثلاثة هي: البخل والجبن والخوف على المواليد، ولذا جاء في حديث المصطفى ﷺ أنَّ الأولاد مجبنة مبخلة،[1] أو كما قال عليه الصلاة والسلام. ولامرئ القيس بيت من الشعر يبيِّن فيه العبث الذي كان يعيشه على الواقع، أو من خلال الشعر يطوُّع فيه الخيال، ويهمُّنا فيه أنَّه كان يشغل المرأة عن مرضعها ذي الحول الواحد، وقد علَّقت عليه التمائم،

فمثلُكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ ومُرْضِعٌ

فألهيتُها عَنْ ذِيْ تمَائمَ مُحْوِلِ

مما يعكس صورة من الصور العقدية والاجتماعية في العصر الجاهلي، حينما كان الناس يعلِّقون التمائم على أولادهم، خوفًا عليهم من العين، والعين حقٌّ. وهي واقع ملموس، يُصاب بها بعض

(١) نصُّ الحديث: «إن الولد مبخلة مجبنة». رواه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب بر الوالد والإحسان إلى البنات. حديث رقم: ٣٦٥٦. ورواه الإمام أحمد في المسند، مسند الشاميين. حديث رقم: ١٦٩٠٤.

الناس، فتكون لها تأثيراتها القوية أو الضعيفة، بحسب قوَّة العين وضعفها. ونحن مطالبون باتِّقائها بذكر الله تعالى، والأوراد الواردة عن المصطفى محمَّد بن عبدالله ﷺ، وعن علماء الأمَّة، سلفهم وخلفهم.

هذه الأدعية والأوراد لا تنافي التوكُّل على الله تعالى، وهي تنبئ عن صفاء في العقيدة، وقوَّة في الإيمان، وتوكيد على التعلُّق بالله تعالى، في السرَّاء والضرَّاء. وكلَّما ضعفت العقيدة في النفوس لجأ الإنسان إلى أساليبَ تُنافي التوكُّل، ولا تحمي من العين، مثل التمائم التي تعلَّق على الصدور، أو توضع تحت الوسائد، أو تُعلَّق في البيوت أو السيارات والمركبات الأخرى، مما يقي من العين، أو يجلب الحظ! وعلمُنا القائم على صحيح العقيدة أنَّها لا تنفع ولا تضرُّ، إلا ضررًا يأتي من الاتِّكال عليها، ويفضي إلى خلل في المعتقد.

في بعض المجتمعات الإسلامية كثُرت التمائم، توضع في أماكن مختلفة، ومنها السيَّارات، تعلَّق فيها، خارجها أو داخلها. وكنت أراها بكثرة في بلد إسلامي شرقي آسيا، لا تكاد مركَبة تخلو منها، سواء أكانت مركبةً تسير آليا، أم تجرُّها الدوابُّ. ولكثرة هؤلاء الوافدين من تلك البقعة من العالم الإسلامي في منطقة الخليج العربية، ظهر في الآونة الأخيرة تفشِّي هذه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الممارسة، المتمثِّلة في تعليق سرائح من القماش الأسود على السيَّارات، فظهر بيانٌ من وزارة (المواصلات) النقل في المملكة العربية السعودية، تُنبِّه فيه إلى ضرورة نزع هذه التمائم من السيَّارات، لمنافاتها للعقيدة الصحيحة، التي تعتمد على الله تعالى في درء أي ضرر قد يُحدِق بالإنسان، ثم تعمد إلى الدعاء المأثور، مثل دعاء الركوب، ودعاء السفر، والأوراد المأثورة.

أكبرتُ هذا من وزارة النقل، التي تجاوبت فيه مع الرئاسة العامّة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقدَّرت هذا للوزارة وللرجال العاملين فيها، ممن يهمُّهم أن تظل هذه البلاد صحيحةَ العقيدة خاليةً من أيِّ شائبة أو خلل، حتَّى لو ظنَّ الآخرون أنَّ في تعليق التمائم نظرةً ظاهرية، لا تعني التعلُّق بهذه التمائم، التي تُتَّخذ، أحيانًا، تقليدًا لمسلمين آخرين، وربَّما لغير مسلمين، يعلِّقون بعض الأشياء في بيوتهم أو سياراتهم، مثل حدوة الحصان أو ذيل الأرنب، ونحوها مما لا داعي له ولا مبرِّر لوجوده، إذا ما سعينا إلى توعية الناس بضرورة التوكُّل على الله تعالى في السرِّ والعلن، ثم اتِّخاذ الأسباب الشرعية التي تقي من العين، وستقي من العين ـ بإذن الله تعالى ـ، وما يحصل بعد ذلك فابتلاء من الله تعالى، وعلينا تجاهه الصبر والاحتساب والعلاج، الذي قال عنه فقهاء الأمَّة: «يجوز التداوي اتِّفاقًا، ولا ينافي التوكُّل».

في هذا السياق ذاته، تنتشر في بعض الحواضر الإسلامية مجموعة من الأضرحة، لأناس كان أغلبهم من الأولياء والصالحين، الذين كان لهم أثر على مجتمعاتهم، فكان أنْ رأى الناس أنْ يكرموهم بعد مماتهم، فأقاموا لهم الشواهد والأضرحة والقباب، وزيَّنوها بزينة البلاد، من الورود والزهور والعطور والحلي. ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ (الكهف ٢١). ويدفع الفقراء للأضرحة أكثر مما يدفع لها الأغنياء، وتذبح عندها الأنعام، ويتبرَّك بها الضعفاء أكثر من الأقوياء، والفقراء أكثر من الأغنياء، وظنَّ بعض الناس أنَّها يمكن أنْ تجلب البركة، أو أنَّها تدفع الضرر، أو أنَّها تغيِّر الأحوال.

☆ ☆ ☆

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الوقفة العاشرة:

العبث بالعقل

المعلوم، فيما يتعلَّق بالغلوِّ في تقدير الأشخاص، اعتقادًا، أنَّ المزارات والمشاهد والأضرحة دخيلة على المفهوم الإسلامي وأنَّ هذا التقرير أدَّى إلى الإفراط في ذلك، مما نتج عنه تعطيل للعقل من ناحية، واللجوء إلى الفصل بين الحياة بماديِّتها، والروح بما توفِّره من أمان، الأمر الذي لا نقرُّه نحن المسلمون بحال. ومما يدخُل في هذا النطاق متابعة المشعوذين في كل مكان، والأخذ على أيديهم، وكفُّ الناس من شرورهم، لاسيَّما أنَّهم يتعاملون مع المرضى وأهل المريض، ويزعمون أنهم يُشفونهم مما هم فيه من أمراض، هي في الغالب نفسية.

المشكلة في هذا الأمر أنَّ اللجوء إلى المشعوذ، إذا ثبتت شعوذته، مُخِلٌّ بعقيدة المسلم، الذي يلجأ إلى أشخاص، لا يستخدمون قدراتهم العلمية في تشخيص الأمراض واقتراح العلاج، آيًّا كان نوع العلاج. إنَّما سُمُّوا بالمشعوذين لأنهم يخدعون العقول والأفهام، ولا يملكون في الواقع القدرة على العلاج، إلا أنْ يستعينوا بقوىً أخرى، وهذا قليل جدًّا فيهم. ووجوده لا يسوِّغ وجودهم، وسعيهم إلى فتح أبوابهم للمصابين وأهاليهم، فالمسألة،

هنا، تعود إلى الاعتقاد بأنَّ الله تعالى هو الشافي. واعتمادنا كليَّةً في الاستشفاء على الشافي - سبحانه وتعالى - لا ينفي التداوي، لأنَّ التداوي يدخل في مفهوم اتِّخاذ الأسباب. ولكنَّ التداوي إنَّما يكون بعلمية، وليس باللجوء إلى ممارسات تنافي التوكُّل، وبالتالي تُدخِلُ خللاً في عقيدة المسلم باتِّكاله على هذا المشعوذ أو ذاك.

المشعوذون موجودون في كلِّ مكان، وكانوا موجودين من قبل، وسيوجدون فيما بعد، ذلك أنَّ أوَّل مسوِّغ لوجودهم حصولهم على عوائدَ مالية كبيرة، لكنها غير طيِّبة، ولا مباركة، مقابل مجهود محدود جداً، لا يعتمد على العلم أو التجربة، أو ما إلى ذلك.

من المهمِّ، هنا، هو عدم التعميم في الحكم، بحيث يقال: إنَّ كلَّ من تعامَلَ مع الأمراض النفسية أو المسِّ، يكون من المشعوذين، ذلك أنَّ هناك أناساً خيِّرين قريبين من القرآن الكريم، في تطبيقه على حياتهم الخاصّة، وهم ذوو تُقىً وورع، ويرقون الناس المرضى بالقرآن الكريم فقط، ثم بالأدعية المأثورة، التي هي، أصلا، تنطلق من منطلق عقدي قوي راسخ، يعتمد على أنَّ الشافي الأوَّل والأخير لكل الأمراض، عضويِّها ونفسيِّها، إنَّما هو الله تعالى، ومن توكَّل على الله تعالى كفاه.

الرجوع إلى هؤلاء الأتقياء الورعين الأحياء إنَّما هو من الأخذ بالأسباب، تماماً كما نتردَّد على الطبيب المؤهَّل علمياً،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمتخصِّص في مجال من مجالات الطبِّ البشري والنفسي، إنْ لم يكن ذلك الورع والتُّقي أقوى سلاحًا من الطبيب نفسه، لأنَّ سلاحَه في علاج المرض هو القرآن الكريم.

لعله من المناسب الدعوة، إعلاميًا ودعويًا وتوعويًا، للمشعوذين أنْ يقلعوا ذاتيًا، وأنْ يتوبوا إلى الله تعالى، وأنْ يبتغوا الرزق من طُرقه المشروعة، وهذا مؤشِّر على قوَّة العقيدة في نفوس المسلمين، الذي سيؤدِّي إلى التقليص من التردُّد على المشعوذين، فتبور سلعة من أصرَّ منهم على هذا النهج، فيزولون تدريجيًا من المجتمع، مع الأخذ في الحسبان أنَّهم باقون كما كانوا من قبل، لكن نسبتهم سوف تقلُّ كثيرًا مع التوعية لهم هم أوَّلاً، ثم للمسلمين عمومًا.

لا بدَّ من أنْ يُعَدَّ هذا العامل في التعلُّق بالأموات من أبرز العوامل وأهمِّها في ضعف المسلمين بعامة، وبالتالي، فإن التصحيح مطلوب. وهو تصحيح صعب، لكنه غير مستحيل، وبطيء جدًا، ولكنه مع بطئه يتقدَّم. ولن أنسى موقف ذلك الطالب الزميل الذي يدرس في الولايات المتَّحدة الأمريكية، وعند نهاية دراسته طرح على زملائه مشكلته عند عودته إلى أهله، وإجبارهم له على المرور على الوليِّ الفلاني المتوفَّى، حال وصوله إلى بلاده، ليتلقَّى منه البركة، ويحميه من الحسد والعين والشرِّ.

كل ذلك بمقابل، تدفعه الأسرة الفقيرة، وذكر أنَّه إنْ لم يفعل ذلك عدَّه أهله مارقًا من الدين! أو أنَّه قد جاء بدين جديد.

إذا كانت المزارات والأضرحة سببًا من أسباب ما وصلت إليه الأمَّة في مجملها من هوان، فإن هناك أسبابًا أخرى لا تقلُّ أهمية عن هذا الضعف، الذي اعترى المجتمع المسلم، مما أدَّى إلى بروز ظاهرة الإلحاد، والبحث عن أفكار أخرى، قد يكون بعضها باسم الدين، ولكنها لا تعدو أنْ تكون تشويهًا لمفهوم الدين. والكتابات في هذا الموضوع كثيرة ومتعدِّدة، وتحتاج منا إلى رصد وراقي «ببليوجرافي» لبيان العوامل كلها، وهذا عمل الباحثين والعلماء والأكاديميين.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الحادية عشرة:

العبث بالعاطفة الدينية

كنتُ أزور عدداً من المزارات والأضرحة، في عواصم عربية إسلامية، لا للبركة، ولا لدفع ضرر، ولكن لمعرفة ما يدور فيها، فإذا بالناس قد أقاموا حلقة عند هذا الضريح، أو ذاك، وكان الوقت بعد عصر يومِ الجمعة، حيث ساعة الاستجابة. وعندما أُدخلت داخل أحد هذه الأضرحة وجدت الناس يحومون حوله، كما يطوف المسلمون حول الكعبة المشرَّفة، ويدعون صاحب الضريح، كما يدعو المسلمون اللهَ تعالى، موحِّدين إيَّاه، وإذا بامرأة خلفي تقول لصاحب الضريح، وهو ميِّت من عشرات السنين: إن عندها بنتين وتريد ولدين!

خرجتُ لمتابعة الحلقة، وإذا الناس يطبلون ويرقصون، مثيرين الغبار من حولهم، وإذا بالسائح الأجنبي، وبيده آلة التصوير الصامتة والمتحرِّكة، يسجِّل هذا المشهد على أنَّه رقص ديني، وعلى أنه من العبادة. وإذا الوجوه، التي تحوم وتصول وتقفز وتخفض، وجوهٌ بانَت عليها النضارة، وظهرت عليها سمة الثقافة، لكنها تخلَّت عن العلم وعن الثقافة، بل إنَّها تخلَّت عن المنطق

والعقل، وجاءت، مدفوعةً بعاطفة غير موجَّهة، إلى هذا المشهد على أنها تعبد الله من خلال هذا الضريح:﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾(الزمر ٣).

لأنِّي كنتُ ألبس الثوب العربي فإنَّ بعضًا من سدنة الضريح لم يرحِّبوا بي، وكانوا يخشون أنْ أنفجر بإنكار هذا المنكر، وأصيح بالناس أنَّ صاحب هذا الضريح لا يضرُّ ولا ينفع، وأنَّ مَن هو خير منه بمراحل عديدة، سيِّدنا **محمَّد بن عبدالله** ﷺ عندما مات، توقَّف نفعه المباشر: «من كان يعبد محمَّدًا فإنَّ محمَّدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حي لا يموت».. رضي الله عن **أبي بكر الصديق** ـ صفت عقيدته، فصدح بها بكل وضوح.

لم أجرؤ على الإنكار المباشر؛ لأنِّي قد توقَّعت النتيجة، وأدناها أنْ أُرمى بعيدًا عن الضريح والحلقة، كما رُمي من هو قبلي. وأيقنتُ، ولا أزال، أنَّ أمام المسلمين طريقًا طويلاً، وغير مباشر، لتصحيح مسارهم العقدي، ومن ثمَّ تصحيح حياتهم، وفهمهم لها، ولسرِّ وجودنا فيها. عندها ستصلح أمور كثيرة جدًّا على مختلف الأصعدة، فلا يصلح آخر هذه الأمَّة إلا بما صلُح به أوَّلها. وأوَّل هذه الأمَّة لم تكن تقيم الأضرحة، ولا المزارات، ولا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المشاهد، ولم تكن تعامل الأولياء والصالحين، بعد مماتهم، إلا بالدعاء لهم واقتفاء آثارهم، ما اقتفوا آثار مورِّثهم العلمَ سيِّد البشر نبيِّنا محمَّد بن عبدالله ﷺ. والطريق الطويل يبدأ بخطوة إلى الأمام في تصحيح المسار.

هاتفني أحد الذين اطَّلعوا على هذا الطرح، وعرف الضريح الذي زرته، وذكر لي عنه قصَّة طريفة، تدور حول مجيء أحد الناجين من هذه الاعتقادات، وسلبه للقطيفة الخضراء التي يُغطَّى بها الضريح، وخروجه بها منه. وعندما لاحقه سدنة الضريح، المنتفعون المباشرون من فساد عقائد الناس، قال لهم: ما لكم تلحقون بي؟ قالوا له: القطيفة يا ابنَ ال...!. فقال لهم: لقد طلبتها من وليِّكم فلان، فأعطانيها، ألستم تطلبون منه جلب المنافع ودفع المضارِّ؟ طلبت منه القطيفة أغطي بها أولادي عن البرد، فما الغرابة في ذلك؟ إنَّكم تعترضون على إرادة الولي فلان، وسمَّاه، ولا أسمِّيه هنا؛ لئلا أغضب أهل الديار التي هو فيها، فليسوا كلُّهم راضين عن هذا الضريح، وعن التبرُّك به، واعتقاد نفعه وضرره، مما قد يدخل في الشرك الأكبر المخرج من الملَّة.

كأنَّ صاحبنا بهذا يذكِّرهم بموقف سيِّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام عندما هدم أصنامهم، وعلَّق الفأس على كبيرهم، فلمَّا أحضروه، وسألوه، بعد أنْ استدلُّوا عليه: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ

﴿إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٦٠-٦٣). لقد أنعم الله علينا في هذه الديار بالمعتقد الصافي، حتى عندما نزور سيِّدنا **محمَّد بن عبدالله** ﷺ إنما نزوره للصلاة والسلام عليه والدعاء له، والدعاء إلى الله تعالى، وليس إليه، عليه الصلاة والسلام، أن يكون شفيعًا لنا يوم القيامة. وقد وفَّقنا الله إلى قيادة سياسية وعلمية لم تترك مجالا للبدعة والخرافة والتبرُّك بالآثار، التي تكون حول قبور الصالحين. وهي عند غيرنا موارد اقتصادية وسياحية، تدرُّ أموالا طائلة، لكنها أموال غير طيِّبة، والله سبحانه وتعالى طيب لا يقبل إلا طيِّبًا.[1]

يذكر **ابن الفوطي**، في كتابه: **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**، في ترجمته لأحد من ترجم لهم. وهو الناصر، في القرن السابع الهجري، أنه خرج ليبول - أعزَّكم الله - في مكان ما، فقرَّر أحدهم إقامة مشهد على المكان الذي تبوَّل فيه هذا الرجل.[2] ومهما كان الصالحون صالحين إلا أنَّنا مطالبون

(١) ونصُّ الحديث: "إن الله طيِّبٌ لا يقبل إلا طيِّبًا". رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيِّب وتربيتها. حديث رقم: ١٦٨٦.

(٢) ابن الفوطي. **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب** ٤ (١): ٢٤١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالاحتكام في هذه الأمور إلى المعتقد الذي نسير على هديه جميعًا، في زمن مضى، وفي زمن قائم، وفي زمن يأتي، ويقوم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

لعلَّ من أسباب تأخُّر العالم الإسلامي اليوم الاعتماد على هذه المشاهد والمزارات والأضرحة، والوصول بها إلى أنْ تُعبد من دون الله، سواء أكان مَن فيها رجلا صالحًا مقبورًا، أم امرأة صالحة، أم أثرًا من آثار رجل صالح، ذلك أنَّ الأمر عند بعضنا يخرج من مجرَّد تقدير الصالحين، إلى الغلوِّ في تقديرهم، إلى حدِّ مزاحمتهم للمعتقد المقبول لعقل الإنسان.(١)

العجيب أن يتعطَّل العقل، هنا، عندما يأتي الحديث عن المشاهد والمزارات والأضرحة، وما إلى ذلك من مناظر، تسيء إلينا أكثر مما تحسن. ونحن بحاجة إلى تقدير الصالحين بمفهومنا نحن عن الصالحين، وعن التقدير، لكننا لسنا بحاجة إلى أنْ نزيد في هذا التقدير إلى درجة تصل إلى الشرك، دون أنْ يشعر بعضنا أنَّه يشرك مع الله تعالى أحدًا من الصالحين، وإذا كان هذا الحال مع الصالحين، فالحال مع غيرهم، في هذه المسألة، من باب أولى.

(١) انظر في البحث عن أسباب تباطؤ المسلمين في هذا الزمان: شكيب أرسلان. لماذا تأخَّر المسلمون وتقدَّم غيرهم؟/ تقديم محمَّد رشيد رضا؛ مراجعة خالد فاروق. - القاهرة: دار البشير، ١٩٨٥م. - ١٦٢ ص.

هناك نوادر حول المشاهد والمزارات تنبئ عن إمكانية الاحتيال على الطيِّبين، واستجلاب مقدَّراتهم المادِّية، وبيع الحظوة لدى الصالح في المزار والمشهد، مما هو، الآن، شائع بين كثير من الناس، لاسيَّما أولئك الذين يهمُّهم أمر العقيدة، وكلنا يهمُّنا أمرُ العقيدة، وتعميم العقيدة الصحيحة بين المسلمين في كل مكان.

نعلم أنَّ هناك أشخاصًا يتاجرون بالمشاهد والمزارات والأضرحة، بحيث أصبحت هذه البقاع موردًا ماليًا مربحًا ربحًا سريعًا، ولكنه ربح غير طيِّب، فلا يكون له أثر على المنتفعين من ورائه، بل ربما كان وبالاً عليهم. ولا يُعلم أنَّ المال غير الطيِّب يجلب نفعًا، مهما تخيَّل جانوه ذلك. ولا يحتاج الأمر إلى أكثر من بعض المظاهر التي يُزيَّن بها المزار أو المشهد أو الضريح، وتطييبه بالطيب الرخيص، وتنظيفه، وما إلى ذلك من وسائل الصيانة والنظافة، وقد يضاء للزيارات الليلية، وهكذا.

حبَّذا لو واجهنا هذه المسألة علميًا، مستندين إلى الأحكام الشرعية في هذا، وليس إلى الأعراف والتقاليد، التي يبدو عليها أنَّها استمرأت هذا النوع، وجعلته جزءًا من العبادة، وانقادت إليه عاطفيًا، بحيث يصعب، الآنَ، الاعتراض على هذا الأسلوب. ومن هنا تأتي الدعوة إلى النظرة العلمية الهادئة المتروية، التي تتعامل مع العقل والنقل، بعيدًا عن التشنُّج، والتسفيه المباشر للناس،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالكثير منهم، على ما يبدو، قبلوا هذه الممارسات على أنَّها جزء من الدين، ولديهم القابلية للاقتناع، إذا أُحسِن التعامُل معهم، في الخطاب والحوار والعقل.

القصد من ذلك كله الرقي بالمجتمع المسلم بعامة، لُيسهم في بناء الحياة، من منظور لا يغفل الدنيا، ويعمل للآخرة في آنٍ واحد. وبالتالي تواصل هذه الأمَّة مسيرتها الحضارية، بدلاً من هذا التراجُع الملحوظ في إسهامنا في حضارة اليوم والغد.[1]

في هذا السياق، ونتيجةً للعلائق في العقيدة الصافية، وفي زيارة لقصر **الحمراء في غرناطة**، وبعض المعالم الإسلامية في **قرطبة وإشبيلية وطليطلة**، التي تحوَّلت إلى مقاصف أو كنائس، يتأكَّد ما أرمي إليه من الأسباب، إذ يُعَدُّ إخراج المسلمين من الأندلس سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م، وما جرى مع الإخراج من محاكم التفتيش، وإحراق المسلمين، وآثارهم، ومخطوطاتهم، وتنصُّر أعداد منهم اعتقادًا، أو تقيَّة، ثم توالي معالم ضعف المسلمين في الشرق والغرب، كلُّ ذلك كان نتيجةً للبعد عن الدين الحقِّ، واللجوء إلى ملذَّات الدنيا، التي يجسِّدها بوضوح **قصر الحمراء**، الذي ينظر إليه بعض المهتمِّين والسُّيَّاح على أنَّه معلم

(١) انظر: علي عبدالحليم محمود. **التراجُع الحضاري في العالم الإسلامي وطريق التغلُّب عليه**. المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. ٤٥٦ ص.

حضاري، من معالم العمران الإسلامي. ولكن الدليل المصاحب للزيارة، لاسيَّما الدليل الإلكتروني، الذي ينقل عن المستشرق إرفنج واشنطون، الذي أحبَّ الأندلس، وكتب عنها أكثر من كتاب ، وأقام في قصر الحمراء سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، ليدرس جهود المسلمين في العمارة والحضارة، لا يُخفي ما مرَّ به بعضُ الخلفاء والولاة والأمراء من ترف، على حساب الاستمرار في التنمية والبناء، ونشر الدعوة، أدَّى في النهاية، كنتيجة، إلى إخراج المسلمين من الأندلس.[١]

☆ ☆ ☆

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون: موسوعة في تراث العرب، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتَّى اليوم.. ٣ مج.. ط ٤.. القاهرة: دار المعارف، (١٩٨٠م).. ٣: ١٣١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الثانية عشرة:

العَبَث في الوجود

من العبث الروحي، في عمومه، السعي إلى اكتناه الوجود، وما سمِّي لدى الفلاسفة بعبث الوجود. وهذا مفهوم أدَّى إليه عدمُ إدراك الوجود، فذهب الباحثون عن الحكمة إلى مفهومات شتَّى، كلها تدخل في مفهوم العبث، وإنْ بدا على بعضها قدر من العقلانية، التي تترجم قدرات عقلية ذاتية محدودة بالمكان والزمان والعقل نفسه، إلا أنَّها محاولات جادَّة، مع أنَّها أدّت في النهاية إلى مفهوم العبث في نتيجتها، ويقول لنا المناطقة: إنَّ النتيجة القائمة على مقدِّمة خاطئة تكون هي - بدورها - خاطئة، وينبني عليها سلوكيات خاطئة.

البحث عن الحكمة أمرٌ مشروع، وهي ضالَّة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها. والله تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (البقرة ٢٦٩). والذي ظهر للعالم، قديمه وحديثه، أنَّه بدت هناك مبالغات في طلب الحِكمة، منذ اليونان والرومان إلى يومنا هذا، وظهر من يحمل بيده مصباحًا في وضح النهار يبحث عن الحِكْمة.

في سبيل البحث عنها ربَّما خرج المرء المفكِّر العبقري عن المألوف، وأطلق نظريات حول الوجود، لأنَّه لا يعلم حقيقة الوجود، أو لأنَّه يتجاهل حقيقة الوجود، ولا اعتبار للفريق الثاني الذي يريد أنْ يتجاهل حقيقة الوجود.

من منطلقنا نحن المسلمين أنَّنا ندرك حقيقة الوجود، ولا نحتاج في معرفته إلى التنظير، ولا إلى المصابيح في وضح النهار، وندرك أنَّه وجود من موجِد، والذي أوجده أقوى منه، فهو القادر وحده على وجوده من العدم، وهو القادر وحده على العدم بعد الوجود، لاسيما أنَّنا نوقن، تمامًا، أنَّ الوجود المتمثِّل في الحياة الدنيا مؤقَّت وزائل، والوجود المتمثِّل في الحياة الآخرة دائم مستمرٌّ، وبالتالي فإنَّنا ـ نحن المسلمين ـ نعمل للوجودين المؤقَّت والدائم، ولا نغلِّب أحدهما على الآخر، إلا ما يحصل من رغبات ذاتية لدى أفراد آثروا تغليب السعي على الوجود الدائم، ليس على حساب الوجود الزائل، ولكنه مجرَّد تغليب.

لأنَّنا كُفينا معرفة حقيقة الوجود، بالنصوص الشرعية من القرآن والسنة، رأى بعض علمائنا أنَّ البحث في الوجود إنَّما يدخل في مفهوم العبث، حتى لكأنَّك تعلم أنَّ واحدًا مضافًا إلى مثله يساوي اثنين، ولكنك تظل مع هذا تبحث عن النتيجة، لأنك تريد أنْ تتوقَّع أنَّها قد تساوي واحدًا ونصفًا أو اثنين ونصفًا أو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثلاثة ... وهكذا. وإنَّما يقال ذلك ضربًا بالمثل، تريد منه أنْ تشكِّك من تخاطبه في حقيقة ثابتة لديه، على طريقة بعض الفلاسفة، من أمثال الفيلسوف الفيزيائي الرياضي ديكارت (١٥٩٠ - ١٦٥٠م)، الذي اعتمد مفهوم الشكِّ المنهجي، وتحديد منطق الرأي الواضح الصريح المبني على الحدس والاستنتاج.(١)

تبع هذا أنْ كره بعضُ علمائنا الفلسفة، ونفروا منها، ونفّروا الناس منها، عندما رأوا أن الحاجة إليها ليست قائمة، وأنَّ في النصوص ما يوصل إلى الحكمة، مما لا يُحتاج معه إلى الفلسفة. ومع هذا وجد بيننا، في ماضينا وحاضرنا، من تأثَّر بالفلسفة اليوناينة، ولمع منهم نجوم في تاريخ التراث الإسلامي.(٢) وظهر كذلك من سعى إلى الردِّ على الفلاسفة، وسمّى جهودهم بالتهافُت،(٣) فظهر منا من ردَّ عليه، وسمَّى جهوده في ذلك تهافُت التهافُت.(٤)

---

(١) انظر: **المنجد في اللغة والأعلام**. ط ٢٣. بيروت: دار المشرق، ١٩٩٨م. ص ٢٥٤. (الأعلام).

(٢) انظر: عبدالحليم محمود. **موقف الإسلام من الفنِّ والعلم والفلسفة**. القاهرة: دار الرشاد، ٢٠٠٣م. ٢٦٢ ص.

(٣) انظر: محمَّد الغزالي، أبا حامد. **تهافت الفلاسفة**/ تقديم وضبط وتعليق جيرار جهامي. بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٣م. ٢٣١ ص. وانظر، أيضًا الكتاب بتحقيق سليمان دنيا. ط ٧. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٧م. ٣٧١ ص.

(٤) انظر: محمد بن رشد، أبا الوليد. **تهافُت التهافُت**/ تحقيق سليمان دنيا. ط ٤. ٢ مج. القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٩م. ١٠٠٦ ص.

لا تزال طروحاتهم التي طرحوها مجال دراسة في الشرق والغرب، واشتهروا على أنَّهم باحثون عن الحكمة، في مجتمعات لا تزال تبحث عن الحكمة، فكان لهم صدىً في تلك المجتمعات أكثر من الصدى في المجتمعات التي أدركت مصادر الحكمة، فكان **الرازي والكندي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون والخوارزمي**، وغيرهم من العلماء الموسوعيين، الذين كانت الفلسفة من اهتماماتهم، ولم تكن هي وحدها اهتماماتهم. ولا تنتهي هذه الوقفة دون التعريج على جهود الفيلسوف الفرنسي **جان بول سارتر**(١٩٠٥ - ١٩٨٠م)، في معرفة الوجود، حتى أضحى من روَّاد الوجودية المعاصرين، مما يدخل، كذلك، في مفهوم البحث عن حقيقة الوجود.[١]

☆ ☆ ☆

(١) جان بول سارتر، فيلسوف وناقد فرنسي، من روَّاد الوجودية المتشائمة. قال إنَّ الإنسان مطلق الحريِّة في الاختيار، ثم مال إلى بعض مبادئ كارل ماركس. فاز بجائزة نوبل سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، لكنه رفضها. انظر: **المنجد في اللغة والأعلام**. . مرجع سابق. . ص ٢٨٥. . (الأعلام).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الثالثة عشرة:

العَبَث بالحق

نحن نؤمن بأنَّ هناك صراعًا أزليًا بين الخير والشرِّ، وبين الحقِّ والباطل. ونحن نؤمن، كذلك، بأننا من دعاة الخير ومن أهل الحقِّ، لأنَّ ما نتبنَّاه هو الحقُّ، إذا ما استطعنا فهمه فهمًا صحيحًا على ما جاء.(١) ولأنَّنا نؤمن بأنَّنا على حقٍّ، وندعو للخير، نؤمن كذلك بأنَّ أهل الشرِّ والباطل موجودون، وأنَّهم على النقيض، تمامًا، من أهل الحقِّ والخير، ونتيجة لذلك يحاولون الحدَّ من انتشار الخير ومن غلبة الحقِّ على الباطل.(٢)

الذي ينبغي التوقُّف عنده، هنا، هو أنَّه ليس بالضرورة أنْ يكون كل من لا ينتمي إلى ما ننتمي إليه يُعدُّ عدوًا لنا، ويعدُّ من دعاة الباطل ومن أهل الشر. وعليه فإنه يمكن لنا أنْ نأخذ من الآخرين، كما يمكن لنا أنْ نُعطي، ويمكن لنا أنْ نتأثَّر بالآخرين، كما يمكن لنا أنْ نؤثِّر فيهم. وهذا الأخذ والعطاء والتأثُّر والتأثير

(١) انظر: عادل محمَّد صالح أبو العلا. **الصراع بين الحقِّ والباطل كما جاء في سورة الأعراف**. الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ٧٩٠ ص.

(٢) انظر: إبراهيم بن محمَّد أبو عباة. **الصراع بين الحقِّ والباطل: وما تخفي صدورهم أكبر**. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م. ٨٥ ص.

لا يعني، بحال من الأحوال، الموالاة لهؤلاء الآخرين الذين لا يشاطروننا ديننا.[1]

كما أنَّ الذي ينبغي التوقُّف عنده، أيضًا، أنَّ هذه المنطقية السالفة لا تحجب وجود فئات من الناس ممن حملت لواء الشرِّ، واتَّبعت الباطل، وسعت إلى حمل الناس عليه، وكل يمكن أنْ يُحكم عليه، من خلال ممارساته وتصرُّفاته. أي أنَّ الأمر يحتاج منا إلى وقفات تقويم، قبل الحكم التعميمي على طريقة: من ليس معنا فهو عدوُّنا. بل يبدو هنا أنَّه ليس كلُّ من هو معنا صديقًا لنا، لاسيما في زمننا هذا، زمن المصالح، الذي تقوم معظم العلاقات فيه على المصلحة ومداها الذي يحدِّد مدى العلاقة.

من هنا ينبغي العدل في النظرة إلى الآخرين، حتى في أحلك الحالات التي يمرُّ بها المسلمون في الفتن والويلات التي تمرُّ بهم. فنحن مطالبون بالعدل والقسط، في كلِّ حال: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٨).

ليس المراد، هنا، اتِّباع منهج الاعتذار للآخر، أو المنهج التسويغي في تلمُّس القُربة من الآخر، ولكننا نسير على نهج يملي

(١) انظر في مناقشة مفهوم الولاء والبراء: محمَّد بن سعيد بن سالم القحطاني. **الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف**. . الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥/١٩٨٥. ـ ٤٧٦ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

علينا أنَّه ﴿مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ١٥)، وهم بوجودهم بين المسلمين يقيمون الحجَّة على المسلمين، فإذا ما بلّغهم المسلمون قامت الحجَّة عليهم. ولذا نجد أنَّ جهودًا طيِّبة هادئة قامت في هذه البلاد، لإقامة الحجَّة على الوافدين عليها من غير المسلمين، فأُنشئت مكاتب توعية الجاليات، ونُشرت بينهم النشرات، التي تبيِّن ما نحن عليه من الحقِّ، وعُقدت الدروس والمحاضرات، يحضرها فئات من العاملين في البلاد، فيهتدي منهم من يهتدي، ويظل منهم من يظل على معتقده، الذي يعتقد فيه أنَّه الحقُّ، وليس عليك هُداهم، وإنَّك لا تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي من يشاء.

ليس لدى المسلمين ما يحجبونه عن الآخر، ولا يكتنف ديننا شئ من الطلاسم والرموز، ولا يستأثر أُناس منا بعلم لا يُشاع بين الآخرين، من مسلمين وغير مسلمين، ولذا فإنَّ المعلومات عن الإسلام متاحة للجميع، وللجميع الحقُّ في طرح الأسئلة والاستفسار عن كل دقيقة وجليلة، وعلى العالِمين من المسلمين الإجابة، ويأثم منا من يعلم شيئًا فيكتمه عن الآخرين.

تكون الأسئلة، عادة، مبنية على خلفيات خاطئة، هي في مجملها شُبَهٌ تُثار حول النظام الاجتماعي في الإسلام والنظام

الأمني والنظام السياسي،[1] ولكنَّها مع الشرح الموضوعي والطرح المتجرِّد تزول، ويحلُّ محلَّها الحقُّ، الذي يبحث عنه كثير من العاقلين.

المطلوب المزيد من التقديم والإيضاح و(الاحتكاك) بالآخر، دون شعور بالهوان، أو الدونية، أو الخوف من التأثُّر بدلاً من النزوع إلى التأثير، وهذا لا يتأتَّى إلا بالعلم القوي، وبالإيمان الصادق، وبالثقة المطلقة، وهي تكثر، الآنَ، وتتركَّز في كثير من النفوس.

☆ ☆ ☆

(١) انظر في مناقشة بعض الشُّبه حول الإسلام: أحمد شلبي. **الاستشراق تاريخه وأهدافه، شبهات المستشرقين ضدَّ الإسلام، مناقشتها وردُّها**.. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ت.. ٢١٢ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الرابعة عشرة:

العبث بالرقابة الذاتية

في الحديث التاسع عشر من **الأربعين النووية** يصحب عبدُالله **ابن عبَّاس** - رضي الله تعالى عنهما - النبيَّ **محمَّد ابن عبدالله** ﷺ على دابَّة، ونِعمَتِ الصحبةُ، فيستخدم المصطفى - عليه الصلاة والسلام - هذه الرفقة ليعطي الفتى **ابن عباس** بعض الإشارات المهمَّة، التي لم تكن خاصَّة بالفتى ابن عبَّاس، ولكن المعنيَّ بها الأمَّة كلُّها، تأخذ ذلك من الرسول المربِّي ﷺ من خلال الرواة الذين نقلوا عنه، بأمانة متناهية، هذه القواعد التي صدرت عن رسول الله ﷺ.[1]

يمكن أنْ يتركَّز هذا الحديثُ الشريفُ حول الرقابة الذاتية على النفس: «**احفظ الله تجده تجاهك**»، وحفظ الله تعالى يتمُّ بمراقبة الأفعال والأقوال، التي يقوم بها المرء في حياته كلها، الخاصّة والعامّة، ويعرض هذه الأفعال والأقوال على هذا المقياس، أو المعيار أو الميزان الواضح، فما يرضي اللهَ تعالى يمضي فيه المرء، وما يسخط الله تعالى، يحجم عنه.

---

(١) انظر: الحديث التاسع عشر من **الأربعين النووية** عن أبي العبَّاس عبدالله بن عبَّاس - رضي الله عنهما - قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال:... الحديث من رواية الترمذي.

المهمُّ، هنا، هو التركيز القويُّ، في هذا الحديث، على الرقابة الذاتية، ومحاسبة النفس، قبل اللجوء إلى أيِّ شكل من أشكال الرقابات الخارجية، مهما تعدَّدت جهاتها، وتنوَّعت في مصادرها، بين الرسمية وغير الرسمية. وكلما زادت الجهات أو الأنماط الرقابية الخارجية، كان هذا مؤشِّرًا لتردِّي الرقابة الذاتية.

هذا قد يعني ضعف الفهم الدقيق لحفظ الله تعالى، الوارد في الحديث الشريف: «احفظ الله يحفظك»، وبالتالي قد يُفهم هذا الحفظ فهمًا قاصرًا على العلاقة المباشرة مع الله تعالى، من خلال العبادات التوقيفية، المتمثِّلة في الصلاة المفروضة والصوم والحجِّ والزكاة، ثم تُغفل العلاقة مع الله تعالى، المتمثِّلة في العبادات غير المباشرة، إنْ صحَّ التعبير، في السلوكيات والمعاملات والعلاقات، مع البشر ومع البيئة والطبيعة. وكل هذه الأصلُ فيها أنْ تتمَّ في حدود «حفظ الله تعالى»، دون النظر إلى أيِّ مؤثِّرات خارجية.

لا يمكن الاستغناء، تمامًا، عن هذه المؤثِّرات الرقابية الخارجية، إذ إنَّنا بشر نتعرَّض للتقصير في أدائنا، متى ما خفَت فينا الشعور بالرقابة الذاتية، وعدم توفُّر رقابة خارجية. ولكنِّي أرغب في تعميق فكرة الرقابة الذاتية، ولو على حساب الرقابة الخارجية، أخذًا في الحسبان أنَّ الرقابة الذاتية مستمدَّة من مراقبة الله تعالى، في السر والعلن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من أجمل ما يحقِّقه المرء، في يومه وليلته، أنْ يشعر أنَّه قام بإنجازٍ ما، فيه رضًا لله تعالى، وأنه امتنع عن الإقدام على فعل ما، يُغضب الله تعالى، أيضًا، فينام عندها قرير العين، منطلقًا إلى يوم جديد، يمارس فيه الرقابة الذاتية على أقواله وأفعاله، فينال الرضا الذاتي، ورضا الله تعالى قبل ذلك. وبالتالي يحقِّق المرء قدرًا عاليًا من السعادة المتوخَّاة، التي نبحث عنها جميعًا في حياتنا، وبعد مماتنا. ولا إخال أنَّها تتحقَّق دون أنْ نرضي اللهَ تعالى، أوَّلاً وآخرَ.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الخامسة عشرة:

العبث في مقاصد الخلق

أوَّل حديث درسناه، في السنة الخامسة الابتدائية هو أوَّل أحاديث **الأربعين النووية**، وهو ذلك الحديث الذي رواه أبو حفصٍ **عمرُ بنُ الخطَّاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيَّات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيًا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».[1] من خلال جعْلِ هذا الحديث الشريف منطلقًا لحياة الإنسان، فإنَّه يمضي في طريقه، لاسيَّما إذا قصد في مشيه وجهَ الله تعالى، وهو - سبحانه - الذي سيحاسب الإنسان في النهاية، وهو - سبحانه - وحده الذي يعلم النوايا.

لا يحقُّ لامرئٍ من الناس أن يعبث في مقاصد الناس، ويفسِّر أعمالهم بموجب تصوُّره هو عن مقاصدهم؛ لأنه يبني، حينئذ، نتيجةً على مقدَّمةٍ خاطئة. وترى بعض الناس يقفزون إلى النتائج،

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب الوحي، حديث رقم: ١، ورواه مسلم بلفظ "بالنية"، في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنية". حديث رقم: ٣٥٣٠.

دون أنْ يعلموا النوايا، فيتَّهمون الآخرين الذين يمارسون عملا من الأعمال، عامًّا كان أم خاصًّا، فينطلقون في حكمهم عليه عن سوء الظن، قبل إنْ يحسنوا الظن بالمرء وبأفعاله، وما يكاد يظهر خبرٌ إلاَّ ويبحثون من ورائه عن دوافعه المبنية، عندهم، على سوء الظنِّ.

الأصل عند الإنسان أنَّ الناس جميعًا تسير على حسن الظن بالآخرين، وأننا نحسن الظن بالناس وبأعمالهم، أقوالاً وأفعالاً، ذلك إلى الحدِّ الذي لا يجعل منَّا سُذَّجًا، بحجَّة تغليب حسن الظن، لأنَّنا مُطالبون، كذلك، بأنْ يكون كلُّ واحد منَّا كيِّسًا فطِنًا، وأنْ يجمع بين الأمرين.

لدينا أناس نقول عنهم إنَّهم على نيَّاتهم، وأظن أنَّ هؤلاء من أسعد الناس، ذلك أنَّهم لا يلجأون إلى تحميل الأمور أكثر مما تحتمل. على أنَّ لدينا أُناسًا ليسوا على نيَّاتهم، بل إنَّهم يلجأون إلى تأويلات وتحليلات وتفسيرات، ما أنزل الله بها من سلطان، لاسيَّما إذا كانوا قد أساءوا الظنَّ في الشخص، فتراهم يرون أنَّ كلَّ ما يقوم به باطل، ولو كان حقًّا. ويرجعون هذا كله إلى قدراتهم، زعموا، على الغوص في الأحداث، لا النظر في ظاهرها، وهذا عند هؤلاء مؤشِّرٌ للحصافة والفطنة! وهو، عند غيرهم، ضرب من ضروب العبث بالمقاصد.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يتحمَّل هؤلاء وزرًا عظيمًا، هم في غنى عنه، لو أراحوا أنفسَهم، وأراحوا غيرَهم من هذا العناء المتعب لنفسيَّاتهم. على أنَّ هذا - في الوقت نفسه - إنَّما ينزَع منهم حسنات، ويكسبهم سيئات، ويكسب من أساؤوا الظن فيهم كثيرًا من الحسنات، وقد يصل الأمر أنْ يؤخذ من سيئات من أُسيءَ الظن بهم، فتطرح على أولئك الذين أساءوا الظن بهم، مع أنَّ هذه الفئة قد أحالت كثيرًا من حسناتها لغيرها.

ما دام الأمر كذلك فما الذي يمنعنا من أنْ نريح غيرنا، ونرتاح نحن، ونترك الخلق ونيَّاتهم لخالقهم، ونغلِّب في الوقت نفسه حسن الظنِّ في الناس، وننظر إلى أعمالهم على أنَّها صادرة بحسن نيَّة، وإنْ جانبت الصواب، فالكلُّ يخطئ ويصيب. والخطأ والصواب ليس مؤشِّرًا على النيَّة، حسنةً كانت أم سيِّئة.

لعلَّ في هذه الوقفة ردًّا مباشرًا على أناس غلَّبوا سوء الظن، وصدروا عن سوء نيَّة، دون الإفصاح المباشر بأيِّ سلوك أو تصرُّف، وإنَّما هي مواقف يواجهها العاملون أعمالا عامَّة، أو خاصَّة. وقد يلجأ بعض الناس إلى الدخول في مقاصد الآخرين، التي لا يعلمها إلا الله تعالى، ثم صاحبُها الذي قد يفصح عنها، وربَّما لا يفصح عنها، فكذب على غيره، وأظهر أنَّه يقصد غير القصد الذي قام بالفعل من أجله. وإنَّ المرء منا ليواجه فئة من

الناس أحبَّت الدخول في المقاصد، وقام تفكيرُها على النظرة السوداوية للآخرين، وأضحى هذا مرضًا نفسيًا، يعاقَب عليه صاحبه، لأنَّه يملك التخلُّص منه.

ليس من الحكمة الإفصاح عن بعض الحالات التي نواجهها، ويسعى أصحابها إلى أنْ يملّوا علينا سوءَ ظنِّهم بالآخرين، ويحذِّرونا من التعامُل معهم، بحجَّة أنَّ نواياهم خبيثة. فإذا بحثت في هذا الأمر وتحقَّقت منه، وجدت أنَّ هذا المريض إنَّما يبطن شرًا لصاحبه، فأراد الوقيعة بينك وبينه، أو أنَّه يبطن الشرَّ لك أنت، فلا يريد أنْ يُبقي لك زميلاً أو صاحبًا، أو أنَّه قد وصل من الناس إلى درجة اليأس والقنوط، بسبب مروره بحالات فردية، وصل فيها إلى التعميم على كلِّ الناس.

مهما حاولتَ تغيير هذا النمط من السلوك فإنَّك تواجَه باتِّهامك أنت بالسذاجة، وعدم الإحاطة بأحوال الناس وعاداتهم السيِّئة، فأحالت هذه الفئةُ من سيِّئي الظن الجوَّ الذي تعيش فيه إلى غابة من الصراع على حُطام الدنيا، رغبة في الانتصار أو الحصول على الحظوة، أو أيِّ منفعة لا تلبثُ أنْ تزول.

لست، هنا، أعمِّم هذا السلوك، فأقع فيما أحذِّر منه هنا، فإنَّ هناك أشخاصًا مستقيمين في تفكيرهم، واقعيين في نظرتهم للآخرين، عمليِّين في تعامُلهم مع من حولهم، يزِنون الناس بميزان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واحد غير متقلِّب، أتاهم الله الحكمة في النظر إلى الأمور. وهم ناصحون إذا استُنصِحوا، مشيرون إذا استُشِيروا، مبادرون إذا استُجيب لهم، ينتقدون الأفعال الظاهرة، ولا يدخلون في النوايا، يقوِّمون الأداء، ولا عليهم من المقاصد. هؤلاء حكماء مُطَّلعون ممارسون، فيهم تقوىً، وعليهم سيماء الخوف من الله تعالى أنْ يصيبوا قومًا بجهالة فيصبحوا على ما فعلوا نادمين. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾(الحجرات: ٦).

الذي لا شك فيه، هنا، أنَّ المقياس في هذا كله هو الإيمان بالله تعالى، فكلَّما قوي الإيمان بالله ضعُف سوء الظن بعباده، وبالتالي ارتاح الناس، وأراحوا غيرهم من تتبُّع مقاصدهم، وبناء أفعالهم على سوء الظن، مهما كانت قريبةً من الصواب. وإذا ضعُف الإيمان بالله تعالى كان للشيطان نصيبٌ وافر من الإنسان، في تصدِّيه لأخيه الإنسان، وفي إيجاد بيئة مريضة، قائمة على الشحناء والبغضاء.

مهما اتَّهم الناسُ الشخصَ المتَّسمَ بحسن الظن، أو تغليب حسن النوايا، وعدم الولوج في المقاصد، مهما اتَّهموه بالسذاجة، و"الطيبة"، و"الحبابة"، و"بياض القلب"، فإنه هو المرتاح أوَّلًا، وهو المُريح لغيره ثانيًا، ينام قرير العين، ويصحو وقد شبع نومًا هادئًا،

يبدأ يومه بتفاؤل وإقبال، وينهيه بحمد الله والثناء عليه، على أنْ يسَّر له حسن التعامُل مع الآخرين. هذا التعامُل المبني على أنَّ الأصل فيهم جميعًا حسن المقاصد، دون أنْ يؤتى من قِبَلِه، بسبب الإفراط في هذا المنحى.

نحن مُطالبون، دائمًا، في نظرتنا للأشياء، أنْ نكون وسطًا، دون إفراط ولا تفريط.[1]

☆ ☆ ☆

(١) انظر: محمود حمدي زقزوق. **الإنسان والقيم في التصوُّر الإسلامي**. - القاهرة: دار الرشاد، ٢٠٠٤م. - ٢٧٠ ص. - (سلسلة مكتبة الأسرة، الأعمال الدينية؛ ١٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة السادسة عشرة:

العبث مع المصطلح

الذين نشؤوا منذ نعومة أظفارهم، نشأةً دينية قوية، قد لا يستسيغون استخدام الكلمة/المصطلح **الربّ** إلا على الله تعالى. وتراهم يتردَّدون في النظر إليها، مستخدَمة في غير ذلك، ولكنَّ الذين تعلَّموا الدين مع نشأتهم، وأضحوا علماءَ فيه، لا يجدون غضاضة في الاستخدام اللغوي، لا الاصطلاحي، للكلمة في أيِّ مقام تطلق فيه، فهناك ربُّ الأسرة، وربَّةُ البيت، وأربابُ الأعمال، وربُّ الإبل، في حوار **عبدالمطَّلب بن هاشم**، جدِّ رسول الله ﷺ، مع أبرهة. ولا يرون في هذا الاستخدام أيَّ مزاحمة للإطلاق الاصطلاحي للكلمة، عندما يقال الربُّ والإله يقصد بهما الله تعالى لا غير، مع أنَّ لفظة الإله أضيق في الاستخدام اللغوي من كلمة الربِّ، لما للإله من معنى لغوي فيه تقديس، ولا يقدَّس إلا الله تعالى.

في التعبيرات الأجنبية، التي نقلها بعضُنا معهم، مع عودتهم إلى بلادهم الإسلامية، مما يدخل في هذا المفهوم، تعبير **الإنجيل** (Bible) لأيِّ دليل أو مرجع أو مصدر لمعلومة، يكثر الاستئناس به

في مجال من المجالات، فتجد الواحد منهم يشير إلى هذا الدليل/المرجع بأنَّه إنجيله. وهذا مأخوذ من خلفية دينية، لا شكَّ فيها، عندما يظهر المنصِّرون في الكنائس والأماكن العامّة، وهم يتأبَّطون نسخة من الإنجيل، أو يضعونها أمامهم في مواعظهم، ويعودون إليها، يستشهدون بالآيات الإنجيلية.

أضحى **الإنجيل** ملازمًا للمنصِّر في جميع تحرُّكاته الوعظية، الأمر الذي لا نراه في ثقافتنا الإسلامية القائمة على حفظ كتاب الله، وعدد من أحاديث المصطفى **محمَّد بن عبدالله** ﷺ، ثم يتلوها الواعظ/الخطيب عن ظهر قلب، أو يروي الأحاديث كذلك، دون اللجوء إلى أنْ يتأبَّط كتابَ الله تعالى. وإنْ كنت قد رأيت بعض الوعَّاظ/الخطباء المسلمين، حديثي العهد في الإسلام، يتأبَّطون ترجمة معاني القرآن الكريم، متأثِّرين بذلك بخلفيَّتهم الدينية السابقة.

مهما يكن من أمرٍ فإنَّ هذا التجوُّز في الإطلاق قد لا يكون سائغًا، بل إنَّه لا ينبغي أن ينسحب على القرآن الكريم، بحيث تجد أحدًا - لا قدَّر الله - يُومئ إلى مرجع علمي أو تقني بأنَّه قرآنه، إذ إنَّ القرآن واحد، لغةً واصطلاحًا، وهو من القدسية عندنا، بحيث نتأدَّب معه، حتَّى من الناحية اللفظية. وقد أدعو، هنا، إلى عدم التأثُّر حتى في الاستخدام اللغوي للإنجيل، كما هو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحال في الثقافة الغربية، على الإطلاق الذي ذكرته؛ لما للإنجيل عندنا من تقدير كذلك، على اعتبار أنَّه كتابٌ سماوي، نزل على عيسى بن مريم - عليهما السلام -، والإيمان به جزء من أركان الإيمان لدى المسلمين.

على أيِّ حال، إنَّ التأثُّر بالثقافة الغربية، من حيث مظاهرُها وسلوكياتُها لا يقف عند هذا الحدِّ، وقد ظهرت فيه مؤلَّفات قيِّمة، تستدعي الرجوع إليها في مظانِّها.(١)

مما يدخل في هذا المفهوم، من حيث إطلاق مصطلحات دينية في غير ما اصطلحت عليه، مصطلح "السينت". و"السينت" هو القدِّيس أو القديِّسة، وبالأسباني "السانتا" للأنثى. وهي رتبة دينية، ومنزلة لا يرقى إليها إلا القليلون من المخلصين للكنيسة،

(١) انظر، مثلاً: أحمد عبدالوهَّاب. **التغريب: طوفان من الغرب**. - القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م. - ٤٨ ص. وانظر، أيضًا: أنور الجندي. **شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي**. - دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م. - ٤٣١ ص. وانظر، كذلك: حسين سعد. **بين الأصالة والتغريب في الاتجاهات العلمانية عند بعض المفكرين العرب والمسلمين في مصر ١٩٠٠م/ ١٣١٨هـ إلى ١٩٦٤م/ ١٣٨٤هـ**. - بيروت: المؤسَّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. - ١٨٤ ص. وانظر، كذلك: عبدالقادر طاش. **الإعلام والتغريب الثقافي**. - الرياض: مؤسَّسة آسام، ١٤١٣هـ. - ٥٥ ص. وانظر، كذلك: محمَّد سليم قلالة. **التغريب في الفكر والسياسة والاقتصاد**. - دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. - ٢٤٠ ص. وانظر، كذلك: محمَّد عبدالعليم مرسي. **التغريب في التعليم في العالم الإسلامي**. - الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م. - ٩٢ ص.

بالخدمة والتنصير والعبادة. وإذا أرادوا أنْ ينعتوا شخصًا بالعفَّة والطهارة قالوا عنه: إنَّه سينت، بعيد عن الشهوات، والملذَّات، والانحراف غير الأخلاقي،[1] كما يعبَّر عنه بأنه ملاك.

لقد لفتت هذه الكلمة (Saint) الانتباه بدعاية لأحد العطور في إحدى الصحف المحلِّية، وعادت الذاكرة إلى أيَّام البعثة، حينما كان الواحد منَّا يواجه هذه الكلمة كثيرًا، فتُسمَّى بأصحابها المدن والشوارعُ، والمعاهدُ، والكلياتُ، والملابسُ، والعطورُ، والجامعاتُ، وغيرها، بل إنَّ الأدوية سمِّيت بأسماء القدِّيسين. فهذا دواء مخفِّض للحرارة اسمه سينت جوزف، القدِّيس يوسف، يوصف للأطفال، بنكهة الفراولة المقبولة، التي تجعل الطفل يمضغ الحبَّة، دون أنْ يشعر أنَّها دواء، ويطلب المزيد، فتنخفض حرارته - بإذن الله .. وقد وصفَه لابني أحد أطباء الأطفال هناك. ولأنَّ الطفل قد قبله تقبَّلتُ الدواء، وغضَّيت الطرف عن الاسم، من باب المرونة والسماحة! وعندما عدت إلى **الرياض** توعَّكت الطفلة، فأخذتُها إلى أحد الأطباء المشهورين، طبيب الأطفال **الزامل**، كما أذكره - رحمه الله تعالى - فذكرت له اسم الدواء، فقال: إنَّ هذا وسيلةٌ من وسائل تقريب الرموز النصرانية إلى الأذهان. وكنت

(١) الذي يظهر أنَّ إضافة غير إلى كلمة الأخلاقي، هنا، هي الأولى، إذ لا يبدو أنَّ هناك انحرافًا أخلاقيًا، وإلا لم يُسمَّ انحرافًا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أظن أنِّي لو وقفت هذا الموقف لرُميت بالتزمُّت والتشدُّد والتشديد. وبالتالي التطرُّف والأصولية، بالمفهوم الدخيل للأصولية![1]

ثم بحثتُ الموضوع بجديَّة، واسترجعتُ المواقف التي مررتُ بها، مثل ما مرَّ بها غيري من قبل حملات التنصير. وقرَّرتُ أنْ أكتب بذلك كتابًا عن **التنصير في مفهومه وأهدافه ووسائله ووسائل المساندة وسبل مواجهته**، فجمعت المادَّة العلمية، وخرجتُ منها أنَّ من الوسائل المتأخِّرة، ولكنَّها المؤثِّرة، تأليفَ الأذهان والأنظار على الرموز الكنسية، كالصليب والتسميات للشوارع، والمدن، والقرى، والمدارس، والمعاهد، والملابس، والعطور، والسيارات ونحوها، بأسماء كنسية، ومصطلحات دينية.[2] كم من هذه الأسماء ذات الخلفية النصرانية أضحت علَمًا على بعض المواقع والمنتجات الاستهلاكية.

لا يُلام القوم في تكريمهم لرموزهم الدينية، سواء اتفقنا معهم عليها أم لم نتَّفق، فهذا حقٌّ لهم، ولكننا نُلام نحن إذا ما

---

(١) انظر في مناقشة مفهوم الأصولية الدخيل: زينب عبدالعزيز. **هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة: الحداثة والأصولية**.. دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٤م.. ٢٠٠ ص.. (سلسلة صليبية الغرب وحضارته؛ ٤).

(٢) علي بن إبراهيم الحمد النملة. **التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته**.. ط ٤.. الرياض: المؤلِّف، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.. ٢٤٨ ص.

انسقنا وراء هذه الوسيلة من وسائل التنصير، فألِفت أذهانُنا وأنظارُنا على هذه الرموز، التي لا يدري بعضنا منشأها، ولا المغزى منها.[1]

لقد وصل الوكلاء التجاريون والمورِّدون والموزِّعون للسلع الاستهلاكية إلى قدر من التأثير على المصانع، نظرًا للسوق الرائجة لهذه السلع. أفلا يحقُّ لنا، نحن المستهلكين، أنْ نطالب الوكلاء والموزِّعين والمورِّدين أنْ يُعفوا أذهاننا وأنظارنا من تأليفها على رموز لعقيدة، نعتقد نحن بطلانَها وانحرافَها عن الخطِّ الذي جاءت عليه على يد عيسى بن مريم - عليهما السلام -؟ أم أنَّ هذا مطلبٌ فيه صعوبة، كما ذكر لي أحدُهم، عندما طرحت عليه فكرة إزالة علامة الصليب التي توضع على علبة الإسعاف الأولي في بعض السيارات؟! أو في الخرائط التي تُبيَّن فيها مواقع، كالمستشفيات ومراكز الإسعاف والصيدليات، ونحوها.

قد يكون في الأمر إفراط في الحساسية، إلا أنِّي، مع وجود هذا الاحتمال، قد عايشتُ بعض حملات التنصير، إلى القدر الذي لا أستبعد معه أنْ تكون هذه الوسيلة مقصودة، ولو من

(١) كانت هناك ساعة متداولة شعبيًا في الأوساط الخليجية، وغيرها، صناعتها سويسرية قوية، وتسمَّى أم صليب، لوجود صليب داخل دائرة صغيرة في "مينة" الساعة! ولا تزال حقيبة الإسعافات الأولية في السيارات، والخرائط، تحمل الصليب المتعارف عليه عند القوم، ويقابله عندنا الهلال.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بعيد. فإنْ كان أصحابنا التجَّار "رجال، أو أرباب، الأعمال"، وأسلافهم هم الذين نشروا الإسلام، قادرين على التأثير، فليسعوا إلى الحدِّ من استيراد المواد الاستهلاكية، التي تحمل أيَّ رمز ذي بُعد ثقافي، يختلف مع ثقافتنا الربَّانية. وليس هذا مطلبًا عسيرًا، لاسيَّما أنَّ بعض هؤلاء التجَّار قد وضعوا أسماءهم على بعض البضائع المصنَّعة في الخارج، مما يُستخدم في المنازل، أو الاستخدامات الخاصَّة، كالملابس، والعطور، ونحوها.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة السابعة عشرة:

العبث مع المقدَّس

في يوم من أيام ربيع الأوَّل من عام ١٤٠٠هـ يناير عام ١٩٨٠م قدِمت إلى مدينة كليفلاند بولاية أوهايو عازمًا، بعون الله البدء في المرحلة الأخيرة من الدراسة. وكنت قد انتقلت من ولاية فلوريدا في الجنوب، وسحبت معي متاعي في قاطرة وتجوَّلت، تائهًا، في أشهر شارع في المدينة، وهو شارع إقليدس، الذي يشق المدينة شرقًا وغربًا.

عندما قربت من وسط المدينة وجدت على اليمين بناية جميلة جدًّا، وحديثة جدًّا، مطلية بالرخام على الطريقة التي شاعت في بيوتنا. وأمامها حديقة صغيرة، وعلى جانبها مواقف، وكتبت أمامها لوحة قائمة على الأرض: مسجد القرآن. قلت في نفسي: ما شاء الله، يبدو أنَّ حركة المسلمين هنا نشطة وغنية، إلى درجة الوصول إلى هذا المبنى الجميل في مكان مناسب. وعقدت العزم على زيارة مسجد القرآن في أقرب فرصة، بعد أنْ أحطَّ الرحال.

في يوم الجمعة تزيَّنت وتطيَّبت، ولبست من الثياب أحسنها، وذهبت قريبًا من وقت صلاة الجمعة، وأردت إيقاف سيارتي في

المواقف، فطلب مني رجل يقف في مدخل المواقف دولاراً، فدفعت الدولار، رغم أنّي أعلم أنَّ المساجد والمراكز الإسلامية لا تأخذ مالاً من المصلين، إلا بالتبرُّع والإنفاق الحسن. ولكنّي قلت في نفسي: لعل الإخوة يمرُّون بضائقة مالية، شأنهم شأن المراكز والمساجد الأخرى!!

ترجَّلت وقصدت المسجد، فقابلني رجل وفي فمه غليون، فقلت: لعل هذا المكان الذي يدخّن فيه صاحب الغليون ليس من حرمة المسجد، فتماديت قليلاً فوجدت امرأة عاملة، تنظّف جزءًا من المكان وقد حسرت عن ساقيها غير الفاتنتين، فدخلني الماء، وبدأت أشكُّ فيما أنا فيه. فسألت صاحب الغليون: أين المسجد؟ قال: هذا هو المسجد. قلت: أين الصالة - أقصد صالة الصلاة؟ فأشار إلى صالةٍ مُلئت بالطاولات والكراسي! قلت: عفوًا، أين مكان الصلاة؟ قال: آه أنت مسلم! قلت: نعم. وهذا مسجد. قال: لا، ليس هذا مسجدكم. هذا نادٍ ماسوني، والمعبد الماسوني هو البناية الكبيرة المجاورة له. قلت: ولمَ يسمونه مسجد القرآن؟ قال: إنَّ الذي أنشأ المسجد ذو خلفية عربية، فسمَّاه بذلك. لكن إذا أردت المسجد فما عليك إلا أنْ تستمرَّ في الشارع هذا (إقليدس) غربًا إلى أنْ يأتيك المسجد، على يدك اليمين، وأعطاني رقم بناية المركز الإسلامي في المدينة. واتَّجهت إليه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على عجل، فوصلته ووجدته ما اعتدته من المراكز الإسلامية، في الغالب، بناية قديمة، المواقف حولها غير منتظمة، وتعطي للآخر صورةً ليست هي الصورة التي يراد لها أنْ تعطى إيَّاه.

في صيف العام نفسه، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، أردت العودة إلى الوطن، فنزلت إلى وسط المدينة، قصدًا إلى التبضُّع من الهدايا المتواضعة للصغار من إخوتي. ووجدت الشارع المذكور، إقليدس، قد أُغلق فأوقفت السيارة بعيدًا عن الوسط، وذهبت ماشيًا إلى حيث المتاجر الكبيرة. وذهلت عندما رأيت الناس متجمهرين على طرف الشارع، فأنظر فأرى عرضًا لجمعيات لها لباس خاص، قريب باللباس العربي التركي. وتمرُّ كل جمعية يتقدَّمها أسمها فإذا هي جمعيات تحمل أسماء إسلامية، مثل زمزم والهدى والإسماعيلية، ومكَّة، والمدينة، والقدس، والزهراء، وغيرها من الأسماء المألوفة.

كان بجواري عجوز كبير، وأنا أرقب هذه المشاهد التي بدا فيها النساء على شكل الحريم، في السينما الغربية، وبدا فيها الجلاَّد ومعه سيف كبير، وبدا فيها الوالي أو الخليفة، وحوله المهرِّجون. وبدت فيها مناظر تعين على إساءة سمعة العرب والمسلمين، أكثر مما هي عليه من إساءة. فسألت العجوز مختبرًا: من هؤلاء؟ فقال: هذه جمعيات خيرية، تهتمُّ بالأطفال والمعوَّقين

والعجزة. وتخدم المجتمع خدمات جليلة. قلت له: أليس لها أهداف أخرى؟ فقال: أبدًا بل هي جمعيات خيرية. قلت: إذًا لماذا هذه الأسماء الغريبة؟ فلم يجبني العجوز الكبير لأنه لا يعرف الإجابة.

يسمِّي هؤلاء أنفسَهم بالمنتمين إلى الأماكن المقدسة Shriners، ولهم في كل مدينة فرع أو فروع، حتى وجدت في المدينة نفسها لهم أكثر من فرع، فرع للبيض وآخر للسود. وهم يمثلون أندية الماسونية، ويقرب من كل نادٍ معبد لهم.(١)

في ١٢/ ١١/ ١٤٠٢هـ ٣١/ ٨/ ١٩٨٢م رزقت بمولود ذكر، وفرحنا به، كما يفرح الأهل بمولودهم الجديد. وفي أيَّامه الأولى وجدت رجلاً يتَّصل بي، ويسألني زيارته لي! فأسأله: وما المناسبة؟ فنحن طلاَّب، وفي أمريكا، وقد تركنا حاتمًا الطائي في ربوع البلاد، فغلَّقنا الأبواب، ومسحنا سمة الكرم، إلا لمن نعرفهم. فأجابني أنَّه مندوب عن جمعية في الحي الذي نعيش فيه، وأنَّه يرغب في أن يعرض علي العضوية، فذكرت له أنِّي غير راغب في العضوية. لكنَّه أصر على إعطائي له موعدًا.

(١) انظر: حسين عمر حمادة. الأدبيات الماسونية وصلتها بالعقائد اليهودية الصهيونية وخططها لتقويض المجتمعات الإسلامية والمسيحية.. دمشق: دار الوثائق، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.. ٦٢٤ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

احترمت إصراره وأعطيته موعدًا. فجاء وأعطاني فكرة عن الجمعية التي سمَّاها "المنتمين إلى الغابة" Foresters، وأكَّد أنَّهم لا يحملون من الاسم إلا لفظه، لا معناه، وأنَّهم يؤمنون بحرية الدين، وأنَّ العضو في جمعيتهم له شأنه في معتقده. وأحضر معه فيلمًا تصويريًا عن بعض أنشطتهم.(١)

طلب أنْ يطرح عليَّ أربعة أسئلة، والإجابة عنها بالإيجاب كفيلة بأنْ تفتح لي المجال أنْ أكون عضوًا في الجمعية. فقلت اسأل. فسأل السؤال الأول: هل ترغب في أنْ تضمن تعليم ابنك من الروضة إلى أنْ يتخرج من الكلية؟ قلت: لا، فالله هو الذي يضمن لي ذلك. قال: إذًا لا أسألك البقية. قلت: بل اسأل. قال: هل ترغب في أنْ تضمن لك بيتًا على شواطئ فلوريدا أو كاليفورنيا، عندما تحال إلى التقاعد؟ قلت: لا. وتذكرت دعاء آسية زوج فرعون في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(التحريم: ١١). ولم أقرأ الآية عليه، إلا أنَّي أشعرته أنِّي لا أنوي الإقامة الدائمة في الولايات المتَّحدة الأمريكية. فلَمَّ أوراقه بعصبية، وهمَّ بالخروج وهو يتمتم

(١) انظر: محمود عبدالحميد الكفري. العلاقات السرية بين اليهودية وبين الماسونية والصهيونية.. دمشق: دار قتيبة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.. ٢٣٩ ص.

بكلمات. ولكني دعوته إلى أنْ يسأل السؤالين الباقيين، ولكنه رفض وأبدى لي أنِّي لا أصلح عضوًا في جمعيتهم على أيِّ حال.

أسفت أنِّي تسرَّعت بالإجابة على كل سؤال على انفراد. وكنت تمنَّيت أنْ لو تركت الرجل يسأل الأسئلة الأربعة ثم أجيب عليها. بل ربَّما أعطيه وقتًا أوهمه أنِّي سأفكِّر في الأمر مع أهلي، ولكني تسرَّعت، فضاع مني السؤالان الباقيان، اللذان لا أظن أنَّهما يقلاَّن إغراءً عن السؤالين الأوَّلين.

هذه بعض الممارسات التي عايشتها خلال مدَّة محدودة، ذكَّرني بها كتاب **صائد الجواسيس** Spy Catcher **لبيتر رايت**، الذي حدَّد فيه أنَّه يجب على كل من يعمل في هيئة الاستخبارات البريطانية أنْ يكون ماسونيًا.(١)

استعرضت ما رأيته من هذه الأنشطة والمحاولات في استمالة بعض الطلبة الأجانب، الذين يتوقَّع لهم أن يكونوا ذوي تأثير فعَّال في ديارهم، عندما يعودون إليها. ولذا فإن من الحكمة أنْ تتقرَّب منهم هذه الجمعيات والنوادي الماسونية في سبيل أنْ توجَد لها أوكارًا في البلاد الأخرى، لاسيما منها التي لا تسمح بحال بإقامة هذه النوادي تحت أيِّ اسم. ووجدت في النهاية أنَّ

(١) انظر: بيتر رايت. **صائد الجواسيس**/ ترجمة عماد القسوس.. ط ٢.. عمَّان: دار الشروق، ١٩٨٨م.. ٤٠٤ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا نوع من أنواع الاستهداف والعبث بالأفكار، التي يتعرَّض لها الطلبة العرب المسلمون. الأمرُ الذي يقتضي مزيداً من الحيطة والحذر من قبل هؤلاء الطلبة.

كان كلٌّ من **مصطفى الخالدي وعمر فرُّوخ** أكثر صراحةً ووضوحًا، حينما يقولان: «ومما لا ريب فيه أنَّ ذهاب الطلاَّب الشرقيين إلى أوروبة وأمريكة يكسبهم شيئًا من أساليب الحياة الغربية، ومن الاتِّجاه الغربي في التفكير والعلم والسلوك، وما إلى ذلك. ولا ريب أيضًا في أنَّ لذلك حسناته وسيئاته، ولكن المبشِّرين يريدون أنْ يفيدوا من دراسة الطلاَّب الشرقيين أمرًا آخر. إنَّهم يريدون أنْ يجعلوا من هؤلاء الطلاَّب «نصارى» بالفعل أو ممالئين للنصرانية. ويدخل في هذا الباب زواج المسلمين بالغربيات».[1] ويستشهدان بدعوة المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون من أنَّ الطلاَّب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسة يجب أنْ يلوَّنوا بالمدنية المسيحية.[2]

☆ ☆ ☆

(١) انظر: مصطفى الخالدي وعمر فرُّوخ. **التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عرضٌ لجهود المبشِّرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي**. - بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٣م. - ص ٨٨ .

(٢) انظر: مصطفى الخالدي وعمر فرُّوخ. **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**. - المرجع السابق. - ص ٨٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الثامنة عشرة:

العَبَث بالذائقة الأدبية

من العبث في الفن/ الرسم والأعمال الفنية إلى العبث في الأدب، شعره ونثره، إذ تتناثر علينا في الصحافة اليومية وفي بعض الدوريات الأدبية قطع نثرية وشعرية، وقطع أخرى لا هي نثرية بحتة، ولا شعرية بحتة، يزعم أصحابها أنها من الأدب الراقي، الذي يحتاج من قارئه إلى مزيد من التأمُّل، والتذاكي، وادِّعاء المعرفة بالأدب بمذاهبه ومساربه، بما في ذلك تلك الرموز والطلاسم واستخدام المتناقضات من الكلمات والتعبيرات، فيجعلون القارئ في حيرة من أمره. وكما قلت في الوقفة السابقة إن لم يفهم القارئ ما يقال أُتُّهم في ذائقته الأدبية. وحينما قيل لأحدهم: لمَ لا تقول ما يُفهم؟ ردَّ قائلاً: لمَ لا تفهم ما يقال؟!

أظن أنَّ في هذا المجال الكثير من القول الذي لا يُفهم، سواء أَسُمِّيَ باسم شائع كالحداثة، توسُّعًا في الإطلاق. أم لم يُسمَّ باسم شائع، واكتُفي له بإطلاق الأدب الرمزي، وهو ليس من الرمز في شيء. وربَّما أطلق عليه الأدب الطلاسُمي، واقتصر روَّاده على أولئك القرّاء الذين يبحثون عن الغموض في التعبير الدالِّ على الغموض في الفكرة.

لعلي أذهب أبعد من ذلك لأزعم أنَّ الأمر ليس غموضًا في الفكرة أدَّى إلى غموض في التعبير، بل إنَّه تغامُض في التعبير مع وضوح الفكرة، أدَّى إليه - إلى هذا التغامُض - الإصرار على العبث في التعبير.

إذا كانت مصائب قوم عند قوم فوائد، فإنَّ المستفيد من العبث في الأدب هم مجموعة من الذين نصَّبوا أنفسهم نقَّادًا، وهم ليسوا بالضرورة نقَّادًا، فنقدوا هذا العبث الأدبي بالعبث النقدي، وأعطوا العابثين من المكانة الأدبية ومن التأويل والتفسير للطلاسم ما لم يفكِّر به أولئك العابثون، ذلك لأنَّهم تركوا مجال التأويل والتفسير مفتوحًا للمتلقِّين والنقَّاد، فدخل المتلقُّون والنقَّاد في مقاصد الكتَّاب، وكل فهم هذه الطلاسم فهمًا مختلفًا عن الآخر، إنْ لم يكن مغايرًا له. وتذاكى بعضُ المتلقِّين والقرَّاء، وادَّعوا أنَّهم يفهمون ما يقال، ودخلوا في المقاصد والنوايا والمراد، دون وضوحه في النص.[1]

لست أتحدَّث هنا عن بعض القطع النثرية الوجدانية التي يبثُّها كتَّاب تعوَّدوا عليها، وعوَّدوا غيرهم عليها، وهي لا تفيد

(١) انظر المناظرة حول الحداثة وما بعد الحداثة بين كل من: عبدالوهَّاب المسيري وفتحي التريكي. **الحداثة وما بعد الحداثة**. - دمشق: دار الفكر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. - ٣٦٨ ص. - (سلسلة حوارات لقرن جديد).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كثيرًا سوى تنمية الملَكَة الأدبية، والرفع من شأن الذائقة، أي الذوق الأدبي، لكنها لا تقدِّم معلومة جديدة، ولا تضيف ثقافة إلى ثقافة قارئها سوى ذلك. هذه الوجدانيات فنٌّ من فنون الأدب معروفة لدى الفرسان من النقَّاد.

الذي أرمي إليه، في مسألة العبث في الأدب، هو ذلك الذي يشكِّك في فهم المتلقِّي، فيبحث عن فهم له، وكأنه من تلك الألغاز التي تُتداول حول لهيب النار في ليلة من ليالي السمَر، يرفِّه فيها الناس عن أنفسهم. والقارئ لهذه الطلاسم لا يقرأ ليبحث عما وراء السطور، ولكنه يقرأ ليستفيد، فيصاب بخيبة أمل من جرَّاء إنفاق الوقت فيما لا يفيد، سوى توسيع مداركه الوجدانية.

لا يُشكُّ في أنَّ بعض الكتّاب يرغب في الشهرة، أو التميُّز، أو البروز، أو الخروج عن المألوف، فيما يكتب، وقد يصل ذلك إلى مظهره ليدلَّ على مخبره، ولكن ذلك كله لا يسوِّغ له العبث بمشاعر المتلقِّين وأحاسيسهم، وإن كان هو يعيش حالاً من القلق وعدم الاستقرار الذهني والفكري والثقافي، أو يوحي للآخرين بذلك. وله منّا أنْ نسأل الله لنا وله الاستقرار في أذهاننا وأفكارنا وثقافتنا، لنوفَّق، حينئذٍ، في أنْ نقول ما يُفهم.

موضوع الحداثة قد أخذ أبعادًا عدَّة، وكتب فيه كثيرون من الطرفين، الراغب فيه والراغب عنه، وجُعلت الحداثة ضدًّا حتميًا

للتراث.[1] وأدخل الدين في التراث، والدين ليس من التراث، بالمفهوم الشائع للتراث، وأصبحنا نقرأ عن الأصالة والمعاصرة، وكأنَّها ثنائية متناقضة تمامًا. ولا تجتمع في حال واحدة، فإمَّا أن تكون تراثيًا أو تكون حداثيًا، وإمَّا أنْ تكونَ عصرانيًا أو تكونَ رجعيًا، وإمَّا أنْ تكون مستقبليًا أو تكون ماضويًا. ثنائية يبدو أنها مبتدعة في مسألة الجمع بينها، واستحالة ذلك.[2]

صدر، فيما صدر، في هذا المجال كتابٌ عن سلسلة معالم الحداثة، التي يديرها الأستاذ الدكتور **عبدالمجيد الشرفي**، واسم الكتاب: **الإسلام والحداثة** لصاحب السلسلة نفسه، الأستاذ **عبدالمجيد الشرفي**.[3] وأصل الكتاب دروس أُلقيت على طلبة أحد المعاهد التونسية، منذ سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. والطرح في هذا الكتاب أوجد فجوةً بين الإسلام والحداثة، وكأنَّ الإسلامَ ضدٌّ الحداثة، وكأن الحداثة - بالتالي - ضدٌّ الإسلام،[4] بحيث يدعو المؤلِّف إلى أسلمة الحداثة، أو تحديث الإسلام!

(١) انظر مثلاً: عوض القرني. **الحداثة في ميزان الإسلام**. - القاهرة: دار هجر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. وقد لقي هذا الكتاب ردود فعل متفاوتة، بين مادح وقادح، إلى درجة التشكيك في انفراد المؤلِّف بإعداد الكتاب.

(٢) انظر في مناقشة هذه الثنائية: أكرم ضياء العُمَري. **التراث والمعاصرة**. - مرجع سابق. - ١٤١ ص.

(٣) عبدالمجيد الشرفي. **الإسلام والحداثة**. - تونس: دار الجنوب، ١٩٩٨م. - ٢٣٠ ص.

(٤) عبدالإله بلقزيز، محاور. **الإسلام والحداثة والاجتماع السياسي: حوارات فكرية**. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤هـ. - ١٤٧ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أسلمة الحداثة أمرٌ ممكنٌ، فيما يظهر.[1] أمَّا تحديث الإسلام بالمفهوم الحداثي، الذي استُورد من الآخر، فهي دعوة استشراقية قديمة، سعت إلى تطوير الإسلام، لا التجديد له بظهور مجدِّدين له بين فينة وأخرى، على ما هو معلوم في تاريخ الإسلام والمسلمين. إلاَّ أنَّ **عبدالمجيد الشرفي** يؤكِّد «أنَّ الإسلام لا يستطيع البقاء بمعزل عن التيَّارات الفكرية والفلسفية الحديثة، مثلما أنَّ المشاغل العملية التي ميَّزت الفكر العربي الإسلامي الحديث لا بُدَّ لها أنْ تنضج في المستوى التنظيري، وتؤول إلى عملية تأليفية حيَّة متجدِّدة بين القيم الدينية ومستحدثات العصر».[2]

إذا كان المتلقِّي يدرك دوافع المستشرقين في "تحديث الإسلام" أو تطويره، فإنَّه يخشى أنْ يصل إلى نتيجة أنَّ هذه الأفكار التي دعا إليها هؤلاء المستشرقون لاقت آذانًا صاغية من لدن بعض مفكِّري المسلمين، مع اختلاف في الدوافع والأهداف.[3] ومنها ما قام على الانبهار بالدعوة إلى تطوير الدين، الذي نؤمن نحن المسلمين أنه كَمُلَ تامًا في أصوله، لا كما يوحي حديث الأستاذ/**عبدالمجيد الشرفي** في

(١) انظر مثلاً: عبدالله محمَّد الغذَّامي. **حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية**.. ط ٢. ـ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٤م.. ٣٠٤ ص.

(٢) عبدالمجيد الشرفي. **الإسلام والحداثة**.. مرجع سابق.. ص ١٨٠.

(٣) انظر: مصطفى الشريف. **الإسلام والحداثة: هل يكون غداً عالم عربي؟**.. القاهرة: دار الشروق، ١٩١٤هـ/ ١٩٩٩م.. ١٠٤ ص.

مسألة تحديث الإسلام، التي ركَّز فيها على مشكلة الحكم وقضية المرأة، ليختم المؤلِّف كتابه بالدعوة إلى أنَّه «فيما يخصُّنا، فكما أنَّ نواميس الحياة تقتضي منَّا التكيُّف مع الضغوط التاريخية الأليمة التي نمرُّ بها، فإنَّنا لا ينبغي أنْ ننتظر "ما بعد الحداثة" علَّه يوفِّر لنا مخرجًا، إذ ما بعد الحداثة ليس إلا مغالاة فيها».[1]

من حقِّ كلِّ الناس الكتابة عن هذا الموضوع العميق، إلا أنَّ هذا الحقَّ يقتضي أنْ يكون المتحدِّث عن هذا الموضوع مطَّلعًا على قدر كافٍ من ثقافته وطروحاته، بحيث يتمكَّن من استخدام الميزان استخدامًا مقنعًا للمتلقِّي، وإذا أمكن أنْ يكون الطرح موضوعيًا كان ذلك أدعى إلى النظرة التخصُّصية. وهذا التوجُّه يُكتب أكثر مما يُطبَّق.

إنَّما ضُربَ مثلٌ بموضوع الحداثة، لأنَّها كانت حاضرة في الذهن من خلال الاطِّلاع على كتاب الأستاذ/عبدالمجيد شرفي، وما في حكمه من الإسهامات التي تتحدَّث عن الحداثة بوصفها مذهبًا فكريًا، أكثر من كونها أسلوبًا أدبيًا. والأمر يصدق على موضوعات أخرى كثيرة بعضها آني، وبعضها مستمرٌّ، بعضها قديم، وبعضها مستحدث، بعضها سياسي، وبعضها اجتماعي.. وهكذا.

(١) عبدالمجيد الشرفي. الإسلام والحداثة.. مرجع سابق.. ص ١٧٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة التاسعة عشرة:

العبث بالإرث

منذ أنْ تسلَّم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - مفاتيح بيت المقدس، في السنة الخامسة عشرة من هجرة المصطفى ﷺ، ٦٣٦م، والقدس عربية إسلامية، تُحكَم بالإسلام، ويتمتَّع أهلها بالحكم الإسلامي العادل، حتى مع الأعداء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(المائدة ٨). وأعداء الإسلام والمسلمين، شديدو العداوة، هم اليهود والذين أشركوا: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾(المائدة ٨٢). وعليه فقد أضحت القدس إرثًا إسلاميًا.

تَمرُّ على المسلمين كلَّ سنة ذكرى احتلال فلسطين، بتحقيق وعد بلفور، وزير خارجية بريطانيا في العقد الثاني من القرن الميلادي العشرين المنصرم (١٩١٧م/١٣٣٦هـ)، المبني، أصلاً، على توقُّعات هرتزل سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م بإقامة وطنٍ قوميٍّ لليهود

في فلسطين، ينمِّيه الاعتقاد لدى اليهود بأنَّ الله تعالى قد اصطفاهم من بين شعوب الأرض.[1]

مهما جرى الأمر فإنَّ وجود اليهود بهذه الصورة في فلسطين، يحكمونها، ويستقرُّون بها، ويجتمعون بها أمر غير طبيعي، وليس مستمرًّا، مهما كان الحال. والأمر غير الطبيعي لا يتوقَّع له الاستمرار، فإذا دخل في ذلك الاستيلاء على إرث إسلامي، مثل بيت المقدس، فإنَّ مدة بقاء هذا الجسم المزروع لن تطول.

لقد شاهدتُ برنامجًا مؤثِّرًا بمناسبة مرور ثلاث وخمسين سنة على الاحتلال، وُفِّق مُعدُّوه ومخرجوه والعاملون عليه على عرضه عرضًا وثائقيًا علميًا مؤثِّرًا. ووجدتُ فيه من الفقرات ما يؤكِّد، لخاصَّة الناس وعامَّتهم، أنَّ الأمل معقود على الأجيال القادمة، التي بدأت تشقُّ طريقها في الحضانة والروضة والمدرسة الابتدائية، إذ لا يزال هؤلاء يتحدَّثون ببراءة عن العودة إلى الأرض، إلى الإرث، ولا يزالون مصمِّمين - وهم صغار - على أنَّ الوضع الذي هم فيه غير طبيعي. وهم الصغار الذين سيستمرون في محاربة اليهود، حتى يخرجوهم من ديارهم، بهذه البساطة من الطرح، ذلك أنِّي عندما

(١) انظر: محمَّد جمال طحَّان. الخديعة الكبرى: هل اليهود. حقًا. شعب الله المختار؟.. دمشق: الأوائل، ٢٠٠٣م.. ٢٤٠ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رأيتُ هؤلاء الأطفال تيقَّنتُ أكثرَ بأنَّ المسألة لن تستمرَّ على ما هي عليه.

دون الدخول في تعقيدات المحلِّلين، ودون النظر إلى العوامل الداخلية والخارجية، ودون النظر إلى القوَّة الماديِّة الهائلة، فإني من أولئك الذين يجزمون أنَّ هناك قوةً هي أقوى من كل قوَّة ماديِّة، وهي كفيلة بتخطِّي كل شيء، يقف أمامها. وهي قوَّة الإيمان المصحوبة بالإعداد بالقوَّة المساندة. واشتدِّي أزمة تنفرجي - بإذن الله تعالى ..

هذا مع التوكيد على أن الأمر ليس متروكًا لاجتهادات شخصية، قامت عليها أحزاب اختلطت أوراقها، وبالتالي اختلطت لديها الأولويات، فما عادت تفرِّق بين الصديق والعدو، والمحارَب والمستأمن، فلجأت إلى الغلو والتطرُّف في النظر إلى القضية، فكانت عونًا للعدوِّ على ذاتها، بحيث فتحت له مجال التعاطُف الدولي، شرقًا وغربًا، هذا التعاطُف الذي لم يقتصر على المعنوي فحسب، بل إنَّه جلب معه الماديِّ، بغير حساب. فالنضوج الفكري في فهم القضيَّة، وإفهامها للآخر كفيلٌ - بإذن الله تعالى - بالوصول إلى الهدف، الذي قد لا يكون للزمن فيه اعتبار.

ثم مع هذا، ولعله من القوَّة، أنَّ القضية قضيتنا جميعًا، وأنَّنا معها اليوم، كما كنا معها بالأمس، وكما سنكون معها غدًا - إنْ شاء

الله ـ بالقيادة وبالقاعدة، بالدَّعم الملموس، والظاهر والواضح المحسوس، والشواهد على هذا الدعم ـ والحمد لله ـ معلومة، ولا تزال تتردَّد آثارها إلى لحظتنا هذه.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة العشرون:

العَبَث بالذائقة الفنِّية

علَّمني الأستاذ الفنَّان/ محمَّد بن موسى السليم - رحمه الله تعالى - مبادئ الرسم، عندما كان يدرِّسُ مادَّة (التربية الفنية) في المدرسة المتوسِّطة الثالثة بشرق الرياض. كان - رحمه الله تعالى - حريصًا على تخريج دفعة تفهم في أوليَّات الرسم، ويبدو أنَّه لم يوفَّق في حالتي على الأقلِّ، ولكنَّه صرفني إلى الاهتمام بالفن نسبيًا، بحيث أصبحت أُلقي بالاً للَّوحات التي أراها أمامي، حتى أنِّي زرت متحف اللوفر، بعد أنْ قرأت عنه كثيرًا، ومتاحف أخرى، ووقفت عند عدد من اللوحات أتأمَّلها، وكأني أحد الفنَّانين، أو نقَّاد الفن.

من المتابعة لهذا المجال وقوفي أحيانًا عند برنامج يحكي رحلة فنان/ رسَّام مع الفن، ومن العرض في هذا البرنامج رسمُه للوحةٍ من لوحاته التي يظن أنَّها هي المعبِّرة عمَّا يجول في وجدانه من نظرات لما حوله. إلا أنِّي استغربت كثيرًا عندما تركِّز هذه البرامج التي تُتناقَل بين الفضائيات على فنانين عبثيين، إلى درجة أنَّهم يُرونك كيف (يكثُّ) الفنان منهم الدهانات بألوان مختلفة على لوح عريض من الخشب، ثم يعبث بها بقدميه،

أو بيديه، أو بعصا، أو بالحاسب الآلي، فيخلط بين الألوان خلطًا عابثًا، وهو يحسب أنَّه يحسن صنعًا، أو أنَّه يجعلك تحسب أنَّه يحسن صنعًا، ليخرج بالنهاية بلوحة، هي مجرَّد مزج غير منظَّم من الألوان، ثم تطلب منه شرحها لك، فتراه يحلِّق بك في عالم غير المعقول، ويريك أشكالاً نتجت عن عبثه، فيجعل منها مناظرَ لها تأويلها عنده، فتُظهر شيئًا من العجب دون أنْ تُبدي أيَّ إشارة لعدم فهمك لهذا كله، خوفًا من أنْ تُتَّهم في ذائقتك الفنية! وتحضرني هنا قصَّة اللوحة التي طليت باللون الأسود، وسعَّرها الفنَّان بخمسة وثلاثين ألف دولار، ولم يفهمها إلاَّ من رسمها، ففسَّرها لمن أرادوا فهمها بتفسير عنصري، فاشتُريت.

يبدو أنَّ هذا هو ديدن بعض أولئك الذين يُحملقون في اللوحات أو الأعمال الفنية الأخرى، وعندما لا يرجون نتيجةً فنية واضحة ينسلُّون، دون الانزلاق في طلب تفسير أو توضيح لهذا العمل الفني أو ذاك، بينما هو لا يخرج عن كونه عبثًا باسم الفن، وربَّما صحبه استغفال للمستقبِل أو المستفيد أو المتلقِّي، حتى أصبح الفنُّ بهذه الصورة مصدرًا من مصادر المعلومات عن الحدِّ الذي وصل فيه العبث في حياة الناس.

هذا العبث الذي قد يؤخذ على أنَّه ترجمة لمدى ما وصلت إليه بعض المجتمعات من الفراغ والخواء الروحي والقلق النفسي،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الذي انعكس على الحياة العامة بتعبيراتها كافَّة، بما في ذلك الفن بالرسم والأعمال الفنية الأخرى. ولعلَّ من آخر مظاهر هذا القلق ظهور فنَّان قد أطال لحيته بشكل ملفت، واستخدم أطرافها فرشاةً يرسم بها لوحاته! وذلك الدلفين الذي درَّبه مروِّضه على أنْ يعَضَّ على الفرشاة بأسنانه، ويشرع في تمريرها على لوحة أمامه، لتضحي منظرًا يُباع بآلاف الدولارات.

حيث بدأت هذه الوقفة بذكر المذكور بالخير الفنان/ محمَّد بن موسى السليم - رحمه الله تعالى - فإنَّها تُختم بالقول بأنَّ الحديث عن العبث والعبثية لا يقصد ذلك المذكور بالخير دائمًا، فلم أرَ فيه عبثًا في حياته الفنِّية، ولكني استهللت به لإقناع القارئ بمدى قربي من الفنِّ بالرسم، عندما تتلمذت عليه - رحمه الله تعالى - سنة دارسة كاملة.

☆ ☆ ☆

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القسم الثاني

عبثيَّات في الشأن الاجتماعي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الأولى:

العبث بالأرزاق

قبل سبع سنين استعدَّ الناس لاستقبال القرن الحادي والعشرين.[1] هذا الاستعداد ملأ الصحف والدوريات والخطب والمحاضرات، بل إنَّ هناك كتبًا مهمَّة، تخصَّصت في الحديث عن هذا القرن. ويؤكِّد المؤرِّخون الاجتماعيون استحالة التحديد الزمني الصارم للتحوُّلات والتغييرات، إلا أنْ تكون تحوُّلات ماديةً واضحةً، مثل البدء في تطبيق نظام، أو الانتقال من مكان إلى مكان، أو البدء في تغيير نمط من الأنماط، وما عدا ذلك فالتغيير متعذِّر قطعًا.[2]

من الأمور المهمَّة التي يركِّز عليها الداعون إلى الاستعداد للقرن الحادي والعشرين الميلادي مسألة السكَّان والتفجُّر السكَّاني، والخوف من عدم توفُّر العيش للمليارات المنتظرة من الناس، مما يعني التوكيد على التخفيض من السكَّان، باتخاذ

(١) دخل القرن الحادي والعشرون الميلادي دون حدوث مشكلات ماديِّة وكونية، إلا أن إطلالته استُهلَّت بقيام حروب بأنواعها، لا تزال تهدِّد المجتمع الإنساني.

(٢) انظر: فصل: الإسلام في القرن الحادي والعشرين. . ص ٨٧ ـ ١١٥.

في: محمود حمدي زقزوق. **الإسلام في عصر العولمة**. . القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م. . ١١٩ ص.

السبل والوسائل المشروعة نظامًا، وغير المشروعة نظامًا، كذلك، مثل تحديد النسل والإجهاض، وربَّما قيل، أيضًا، للهروب من مدلولات هذه الوسائل، السعي إلى تنظيم الأسرة، والاكتفاء بعدد محدَّد من الأولاد، حتى سعت الصين إلى الحدِّ من الولادات، واتَّخذت إجراءات غير إنسانية للحوامل، الراغبات في زيادة النسل.

في القرآن الكريم نصوص صريحة على عدم القتل، بأي شكل من أشكال القتل، إنْ بسبب الفقر، أم بسبب الخوف من الفقر: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا به شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم به لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام ١٥١). ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيراً﴾ (الإسراء ٣١). وعلينا أنْ نتأمَّل هاتين الآيتين، مع الأخذ في الحسبان التفصيل في ذلك.

اتَّخذت الهند لهذا إجراءات إنسانية أيضًا، منعت فيه الأشعة فوق الصوتية، التي تعين على التعرُّف على جنس الجنين، سعيًا إلى الحدِّ من الإجهاض الذي سرى ـ كما مرَّ الحديث عنه ـ، إذا ما تبيَّن أنَّ الجنين أنثى، والذي وصل مليوني (٢،٠٠٠،٠٠٠) حالة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إجهاض في سنة واحدة.[1] في هذا كله اتِّكال على الأسباب، يُفاقم من المشكلة، ولا يسعى إلى حلِّها، في منظورنا نحن المسلمين، ذلك أنَّ الله تعالى يكتب رزق المرء قبل ولادته، بل إنَّ مصيره في الحياة مكتوب.

في لحظة من لحظات التأمُّل والتفكُّر، ينظر المرء من حوله، فيجد نفسَه بين أهله وذويه الأعلين والأسفلين، فيحمد الله تعالى على هذا الجمع المبارك. ثم يحصل على قدر من المال، بالطرق المشروعة الحلال، ليصرف منه على نفسه، وعلى أهله وعلى من يراه من المستحقِّين، فيحمد الله تعالى على هذه الوفرة من المال، مهما قلَّ مبلغها. ثم يتذكَّر قوله تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾(الكهف ٤٦).

أرأيتم أنَّه يقلق كثيرًا على هذه الزينة، وقد أُشرب حبَّ الحفاظ عليها، وفطره الله تعالى على التمسُّك بها. فتأتي الآيات الأخرى تحذِّر من الإفراط في التعامُل معها، أوالتفريط في الاتِّكاء عليها. فما هي إلا زينة زائلة، وما هي إلا تشويق إلى الزينة، الدائمة والنعيم المقيم.

(١) انظر: صالح بن عبدالرحمن الحصيِّن. **قضايا بلا حدود**. - مرجع سابق. - ص ٦٩.

لذا يطالَب من وهبه الله تعالى هذه الزينة أن يعطيَها حقَّها، أو يؤدِّي حقَّها عليه، فيُحسن تربية الأولاد، بدءًا من اختيار والدتهم، ويسهر على سلامتهم من كل مكروه، في العقل قبل الجسم، ويتوكَّل على الله، بعد أن بذل الجهد. ويطالَب من وهبه الله المال أنْ ينفقَه في طرقه المشروعة، وأنْ يظهره على نفسه أولًا، ثم على من يعول، ثم يؤدِّي حقَّه عليه، من زكاة تؤخذ منه وتردُّ على فقراء الأمَّة، ليزيد مالُه بهذه النفقة، فلا ينقص. وتكتمل لديه الزينة من صلاحٍ للأولاد، وطيب في المال.

لا تقتصر هذه الزينة على الدنيا، إذا ما أحسن المرء منا التعامُل معها، إذ إنَّ المال المنفَق منه القليل في الخير، يعود على صاحبه في الخير في آخرته، وقبل ذلك في مرقده الصغير، بين الجيران الذين لا يتزاورون. وقبل ذلك كله في حياته الدنيا، والله يضاعف لمن يشاء.

الأولاد، الذين يصلحهم الله تعالى، يبقون ذُخرًا لوالديهم، يدعون لهم بالعشيِّ والإبكار. وهكذا نعملُ على تطويع متاع الدنيا، فنأخذ منه المشروع، نستفيد منه في دنيانا، ثم نترك لأنفسِنا رصيدًا، لا نأخذه معنا، ولكنه يبقى لنا ذخرًا مدَّخرًا، يعيننا، بعد عون الله تعالى، على رفع الدرجات، وتكفير الذنوب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما دام المالُ والبنون زينةَ الحياة الدنيا، فما الذي يمنع الواحدَ منا أنْ ينظر إلى هذين العنصرين على أنَّهما كذلك، فيسعى من ليس لديه مال إلى الحصول عليه، بطرقه المشروعة، إذ العبرة بالأهداف وبالوسائل. ويسعى اللذان لم يحصلا على الأولاد للحصول عليهم، باتخاذ الأسباب المشروعة، أيضًا، لذلك، من الاقتران ببنت الحلال الودود الولود، أو بابن الحلال، ثم البحث عن أسباب عدم الإنجاب، والسعي إلى علاجها. فإن لم يتحقَّق بعد ذلك كلِّه، بسبب من أحد الشريكين، أو كلاهما، فإنَّ الله تعالى لا يظلم أحدًا من عباده، مهما طغى العبد وتكبَّر، وتجبرَّ على خالقه.

يكفي المرءَ العاديَّ المؤمنَ أنْ يتَّخذ الأسباب، فلا يقلق بعد ذلك على أنه لم يحقِّق النتائج، لأنها ليست بين يديه، فيحمد الله تعالى على هذا الابتلاء. ويتصرَّف في حياته بما تيسَّر له من مال وولد، ولا ينظر إلى من هم فوقه في هذه الزينة، إذ إنها، مع أنها زينة، فإنها قد تكون فتنة: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(تغابن ١٥). وفي هذا عزاء كبير لمن لم يتحقَّق له أحدهما، وفيه بيان لمن تحقَّق له أحدهما، أو كلاهما، ألا يُفتن بهما.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الثانية:

العبث بالقانون الدولي

هناك خمسون دولة إسلامية عضو في المنظَّمة الدولية، هيئة الأمم المتَّحدة، وهذا الرقم يمثِّل ثلثَ الأعضاء، تقريبًا. وفي وقفة سابقة جاءت الدعوة إلى الوجود الدولي في الاشتراك في وضع النظم والاتِّفاقيات، بحيث يدخل الحسُّ الإسلامي في الصياغة وفي الفحوى، وإنْ يكن بطريق غير مباشر، والابتعاد عن العزلة، وأنها نوع من العبث في زمن العولمة.

في مناقشة هذا الموضوع مع الزميل الدكتور/ **عبدالرحمن ابن أحمد الجعفري**، عضو مجلس الشورى السابق، وكان يدير، سابقًا، مؤسَّسة خليجية إقليمية للاستشارات الاقتصادية، طرح فكرة التعاون والتنسيق بين الدول الإسلامية عن طريق منظَّمة المؤتمر الإسلامي، أو عن طريق الوزارات والمصالح المعنية بهذا الجانب في الدول الإسلامية، بحيث تخرج، جميعًا، بصيغة تمكِّنُها من الإسهام في الاهتمام بمصالح الإنسان المعاصر، من خلال التنظيمات الدولية.

لدى العالم الإسلامي، اليوم، خبرات جيِّدة وكثيرة في مجالات التشريع والنظم والقانون الدولي، وهناك خبراء ذوو

خلفية إسلامية، يعملون مع المنظَّمات الدولية، ويسهمون في أعمالها التنظيمية، ولكن الذي يظهر أنَّهم يمثِّلون أنفسهم، وقد يعمد بعضهم إلى عدم إقحام الخلفية هذه خوفًا من الرفض أو لعوامل أخرى، لا تغيب عن فطنة القارئ.

أحسب أنَّه متى ما أثير هذا الجانب وتكثَّف الوجود الإسلامي في المجالات العملية لهذه المنظَّمات فإنَّ الاستعداد والقابلية موجودان لدى هؤلاء الخبراء الذين يعملون الآن في المنظَّمات.

الدخول غير المباشر مقصود ومطلوب، ذلك أنَّ الخبراء الآخرين الذين كانت لهم اليد الطولى في الصياغة، وفي المضمون للنظم والاتِّفاقيات، لا يُظهرون أنَّهم ينتمون إلى خلفيات دينية وثقافية متميِّزة، بل إنهم يظهرون بالمظهر الدولي العولمي الذي يعمد إلى الشمولية في وضع الأنظمة والاتِّفاقيات، بينما واقع الحال أنَّ الخلفية الأيديولوجية تطغى على المواد والفقرات، وتعكس في الغالب النظرة الغربية إلى الحياة والناس، ولذا تأتي مواد النظام (القانون) موضع تحفُّظ، أو عدم ارتياح من الدول الأخرى، التي لا تتَّفق وهذه النظرة في مشروع النظام (القانون). ومن حق الدول الأخرى التحفُّظ على أي مادَّة أو صيغة تؤثِّر على نظرتها هي للحياة والناس. وهذا الحقُّ يؤثِّر على التطبيق في النهاية، بعدما كان له أثر في الفهم وفي التفسير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قد يوصلنا هذا إلى نتيجةِ أنَّ النظرة الغربية للأشياء، وهي المسيطرة على التنظيمات الدولية، قاصرة في شموليتها. ولا أريد أنْ أذهب أبعد من هذا فأتَّهم هذه النظرة بتجاهُل النظرات الأخرى، لأنَّ الواقع أنَّها لا تتجاهلها عندما تضع عبارات للاستثناء، ولتطويع الموادِّ والصياغات لتفسيرات النظرات الأخرى.

على أيِّ حال، الوجود الإسلامي الدولي أصبح ضرورة حضارية تعين - بعد عون الله تعالى - على فهم صحيح لهذا الدين، وتسهم في تقديم الحلول التي تقبل التطبيق على الجميع، ذلك أنَّ هذه الحلول ليست مقصورة على إقليم دون آخر، أو أمَّة دون أخرى، وهي ليست ملكًا لأحد.

لقد آنَ الأوان لهذه الخطوة أنْ تأخذ طريقها إلى الواقع بتوفُّر مقوِّماتها، ولعل منظَّمة المؤتمر الإسلامي تأخذ قصب السبق من خلال مؤسَّساتها التي تُعنى بهذا الجانب، فالناس - كل الناس - ينظرون إلى هذه المنظَّمة أنْ تكون هي المبادرة في هذه المجالات، نظرًا لما تتمتَّع به من مكانة خاصَّة في القلوب، بل ربَّما أحجم الآخرون عن الإقدام على هذه الفكرة؛ لأنهم لم يروا مبادرة من صاحبة المكانة الخاصَّة في القلوب، وعليه فإنَّ منظمَّة المؤتمر الإسلامي، إذا ما أقدمت على هذه المشروعات، فإنَّه ينتظر من الآخرين معاضدتها ومساندتها، وتقوية مكانتها دوليًا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الثالثة:

العبث بالغياب

العالم يعيش اليوم حالة من التنظيم الدولي والإقليمي، والملحوظ للجميع أن هناك منظَّماتٍ دولية وإقليمية يراد منها أنْ ترعى مصالح الناس، وما يخدم الإنسان، في هذه الدنيا على الأقل، ومراعاة المصالح تقوم على أساس من نظام (قانون)، أو أنظمة (قوانين) يُطلب من الدول الأعضاء، في أيِّ تنظيم، المصادقة عليها، والتوقيع عليها، وتنفيذها على مجتمعها، بموجب موادَّ وفقرات، تحاسب على الإخلال بها أيُّ دولة، بطريقة من المحاسبة يضعها النظام (القانون) وموادُّه. والذين يضعون هذه الأنظمة (القوانين) مجموعة من المتخصِّصين والخبراء في القانون الدولي، وهؤلاء يعودون إلى ثقافات مختلفة، ليست بالضرورة ملائمة لجميع ثقافات الشعوب.

من هذا المنطلق نجد أنَّ كثيرًا من المهتمِّين يجد حرجًا كبيرًا في قبول هذه الأنظمة (القوانين)، التي تصاغ على شكل اتِّفاقيات، ذلك أنَّه يوجد في صياغتها عبارات لا تتَّفق، بالضرورة، مع نظرة الإسلام للموضوع، الذي وضِع له النظام (القانون). والحرج يكثر، أيضًا، إذا ما جاءت الصياغة من منظَّمة

دولية، لم يبدُ عليها احترامَها أو تقديرَها للمجتمع المسلم في المعاناة التي يمرُّ بها، الآن، في أكثر من مكان، مما يوحي بفقد المصداقية في هذا الجانب على الأقل. قد يقود هذا إلى فقدان المصداقية في الجوانب الأخرى التي ترعاها هذه المنظَّمات الدولية، بغضِّ النظر عن مجالات اهتمامها.

يمكن التغلُّب على هذا الحرج الكبير بمشروع طويل المدى، وفيه صعوبة آنية، ولكنه متحقِّق - بإذن الله - وذلك بالانخراط القوي في هذه التنظيمات الدولية.

يتحقَّق الانخراط القوي من خلال الخبرات ذات الخلفية الإسلامية، وليس في التمثيل والاشتراك في المنتديات والمحافل والمؤتمرات الدولية فحسب، بحيث يقتصر الأمر على خطاب أو بيان أو اعتراضات، بل إنَّ الخبرة مطلوبة لاقتحام هذه المؤسَّسات الدولية بالخبرة والعقول، التي تسهم في صياغة النظم، وتقدِّم البدائل التي لا تفرض، بالضرورة، التوجُّه الإسلامي على أنَّه توجُّه إسلامي، ولكنْ على أنَّه بديل يلقى القبول لدى معظم الأعضاء، إنْ لم يكن كلهم، لأنَّه يُفترض في الصياغة البديلة أنها منطلقة من مفهوم قابل للتطبيق على الجميع. ويقصد عدم التركيز على التصنيف الأيديولوجي التخلُّص من الحذر الذي يستقبله الآخر به، لعوامل عدَّة، لا مجال للخوض فيها، قد يكون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من أبرزها عامل الجهل بالبديل، وقيام هذه المنظَّمات على نبذ الخلفيات الأيديولوجية، ظاهرًا، وعدم إقحامها في سنِّ النُظم والاتِّفاقيات، أيّ عدم أدلجة النظم (القوانين) الدولية.

لا يجدي انتظار الصياغات الأخرى، ثم نقدها والتحفُّظ عليها جميعًا؛ بسبب ورود ما يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية، إذ المطلوب الإيجابية في هذا المجال بالاشتراك في وضع النظم (القوانين) والاتِّفاقيات الدولية. والاشتراك سوف يريح الدول الإسلامية عمومًا، عندما تنظر إلى هذه النظم (القوانين) والاتِّفاقيات للمصادقة عليها، ثم التوقيع عليها، فتطبيقها على مجتمعها.

بالاشتراك في هذه المجالات فوائد أخرى غير هذه، يمكن أن يكون منها تقديم الإسلام بالصورة العملية التي ينبغي أنْ يقدم بها.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الرابعة:

العبث بالمرضى

لعلَّ من أنبل المهن التي يتصدَّى لها الإنسان هي تلك التي تتعلَّق بصحَّة الإنسان من طبٍّ وتمريض. والطبُّ، منذ عرفه التاريخ، يحظى بالاحترام والتقدير من قبل العامَّة. والطبيب شخص ينظر له الآخرون على أنَّه يملك فكرًا وذهنا ويدًا فوق العادة؛ لما امتهن من طريقة مثالية في خدمة المجتمع. ونحن نعلم أنَّ هذا الفكر والذهن وهذه اليد إنَّما هي أسباب لجلب الشفاء للمريض أو المتوعِّك.

كان الأطبَّاء، ولا يزالون، يشعرون بسعادة تصل بهم إلى تحقيق الذات، وهم ينظرن إلى مرضاهم يتماثلون للشفاء، فينظر إليهم مرضاهم نظرات تغني عن التعبير بالكلمات. تلك النظرات التي تحجب الرؤية عنها غزارةُ دموع الشكر والعرفان بالجميل. وهذه من أنبل الإنجازات التي يمكن أنْ يرصدها الطبيب في حسابه الخاص. لاسيَّما إذا صاحبتها دعوات صادقة بمزيد من التوفيق، فترى الطبيب يسير من حسن إلى أحسن، لا لشيء أكثر من أنَّه خدم مهنته، وخدم من خلالها الناس.

النظرة المثالية للطبيب، أيِّ طبيب، تعكِّرها، أحيانًا، بعض التصرُّفات الفردية التي لا تكوِّن ظاهرة، ولا تشكِّل خطرًا. خلاصة هذه التصرُّفات أنْ يعمد الطبيب إلى استخدام فكره وذهنه ويده على وجه يخالف ويناقض ما أريد لها أنْ تصرف فيه. ولأنَّ التوقُّعات من الطبيب هي في درجة المثالية الواقعية. تجد أنَّ التصرُّفات المضادَّة تلقى شيئًا من الاستهجان والاستغراب والازدراء لشخص الطبيب، لا للمهنة ذاتها. والمتابع للصحافة السيارة يطّلع على نماذج من ذلك.

علينا أن ندرك، هنا، مجموعة من المسلّمات التي لا بُدَّ من أنْ يعيها الناس جميعًا. ومنها:

١ ـ أنَّ الطبيب بشر قبل كلِّ شيء.

٢ ـ أنَّ البشر محدودو المعرفة، ولا يؤتون من العلم إلا قليلا. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(الإسراء: ٨٥).

٣ ـ أنَّ الأطباء بعامَّة مخلصون لمهنتهم، ومخلصون للمجتمع الذي يعملون فيه.

٤ ـ أنَّ الطبيب، لكونه بشرًا، يعتريه ما يعتري البشر من أمور جسمية ونفسية واجتماعية، قد لا يدركها البعض، فلا يسلِّمون بها في الطبيب، وإنْ سلَّموا بها في غيره من الناس،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على اعتبار أنَّ هذا الطبيب قد وصل بعلمه إلى درجة المثالية الإنسانية، التي تحميه من نوائب الدهر.

٥ ـ أنَّ الطبيب يواجه تحدِّيات إجرائية وإدارية في كل مجتمع، فقد لا يستطيع تهيئة الجوِّ المناسب جدًّا لأداء عمله في بعض المجتمعات، وربَّما كان هناك النقص في الأجهزة، والنقص في العاملين المساعدين، والنقص في الدواء، والنقص في المعلومات الطبية المطلوبة، وهو لا يملك قوَّة خارقة تعينه على التغلُّب على هذه التحدِّيات أو العقبات.

٦ ـ أنَّ ما اكتشف، علاجًا للأمراض، تشخيصًا ودواء، لا يصل إلى واحد من الألف (٠٠١٪) ممَّا هو مطلوب، وما العالم الحديث بحاجة إليه.

٧ ـ أنَّ مهنة الطبِّ تعتمد، فيما تعتمد عليه، على التشخيص، والتشخيص لا يقتصر على الكشف، بعيدًا عن الحوار التشخيصي مع المريض. ولذا يصعب الوصول إلى نتيجة قريبة من الحتمية، إذا لم يتعاون المريض مع طبيبه في مسألة التشخيص. وقد يضلِّل المريضُ طبيبه، عندما يعمد إلى تعمية الحقائق؛ جهلاً بتأثيرها على التشخيص.

٨ ـ أنَّ الطبيب بحاجة إلى ثقة المريض به، وهذا له دخل لا بأس به في عملية العلاج والشفاء. وكم حالة عرضت على طبيب لم

يقتنع به المريض فوصف الطبيب العلاج المناسب، فأهمله المريض، أو وضع في ذهنه أنَّ هذا الطبيب لم ينفع، فلم ينفع.

٩ ـ أنَّ كثيراً من الناس يريدون أنْ يدخلوا على الطبيب مرضى فيخرجون منه معافين، دون اللجوء إلى برنامج علاجي قد يطول. وتلك مصيبة المريض، لا يتحمَّل منها الطبيب شيئا البتة، إلا إذا قصَّر في محاولة إفهام المريض المطلوب.

١٠ ـ أنَّ الطبيب لا يقف وحده هنا، ولكنَّ هناك مجموعةً من المساعدين، الذين يقفون إلى جانبه، ومن هؤلاء الصيادلة، وهم على درجات من حيث العلم، فيحدث أنْ يخطئ الصيدلي في صرف الدواء وقوَّته، فيُتَّهم في هذا الطبيب، والطبيب منه براء. ولذا يعمد كثيرٌ من الأطبَّاء إلى النظر إلى الدواء المصروف بعد صرفه للتأكُّد من دقَّته.

١١ ـ أنَّ تناول الدواء يخضع لنظام يحتاج فيه المريض إلى القراءة، أوَّلاً، ثم اتِّباع الإرشادات، من حيث الجرعاتُ والمدَّة والأعراض الجانبية، ومثل ذلك، وقليلٌ من الناس من يقرأ النشرة المرفقة بالدواء، ويكتفي بما يكتبه الصيدلي على الدواء مثل (١×٣)، وهي سلبية غير مرغوب فيها من الصيدلي، كما هي من المريض.

هكذا نجد أنَّ هناك مجموعةً من العوامل التي تؤثِّر في أداء الطبيب لمهنته الإنسانية، ومن ثمَّ تؤثِّر في تأخير الشفاء، أو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انتفائه، إنْ لم تؤدِّ إلى مضاعفات أخرى، يكون للطبيب فيها إسهامٌ محدودٌ جدًا، ولكنَّ الناسَ يلقون باللائمة عليه، مباشرة، قبل أنْ يتحرَّوا الدقَّة في مثل هذا الاتِّهام.

إذا روعيت هذه المجموعة من العوامل ووعاها الناس، المتعالِجون منهم، وجدنا أن الأصل في الطبيب أنْ يوفَّق - بتوفيق الله تعالى - في التشخيص، وفي صرف الدواء، وتكون النتيجة الشفاء، ما أرد الله - سبحانه وتعالى - ذلك.

خلاف الأصل أنْ يعمد الطبيب إلى المغالطة في كل ما مرَّ، فيتعمَّد الضرر بالمريض، لأغراض غير إنسانية، نتيجة لمرض في الطبيب نفسه. وتلك حالات تمرُّ، فيُعلن عنها، ويُعاقب عليها فاعلوها ويُحاكمون، وقد يُمنعون من الاستمرار في مزاولة هذه المهنة، لأنَّهم أثبتوا أنَّهم دون مستواها، مثلهم في هذا مثل كل من يسئ إلى مهنته. من هنا تأتي الفحوص والاختبارات الدورية للأطباء، وذوي المهن الحسَّاسة، ذات العلاقة المباشرة بحياة البشر، كالممرِّضين والطيَّارين ورجال الأمن والدفاع المدني ونحوهم، يفحصون جسميًا ونفسيًا؛ خوفًا من الانزلاق في تصرُّفات تكون لها جملة من المضاعفات.

إنَّه لمن المحزن أنْ يقرأ المرء، أحيانًا، وفي بلدان غربية وشرقية تدَّعي التقدُّم، عن مؤامرة طبيب في القضاء على مريضه، أو

ممرِّضة تعتني بالمواليد الصغار، فتقضي عليهم، أو ممرِّض يدخل على المرضى في أوقات يختارها، فيستعمل علمه فيما يضادُّ ما تعلَّمه من أجله. وتلك تصرُّفات تؤكِّد على أنَّ البشر، مهما وصلوا إلى العلم الدقيق، هم بحاجة إلى مقوِّمات أخرى أساسية في حياتهم تدفعهم إلى تسخير هذا العلم فيما ينفع.

هنالك مجموعة من المقوِّمات التي يستطيعها البشر مرسومة لهم، يأتي على رأسها مخافة الله تعالى، وجعله رقيبًا أوَّلَ وأقوى من رقابة البشر، لاسيَّما في المجتمع المؤمن الذي يدرك هذه المعاني ويعيشها. ولذا نجد مثل هذا الحوادث الشاذَّة عالميًا شبه معدومة في المجتمعات المؤمنة، التي تؤكِّد على المعاني السامية لمهنة الإنسان في هذه الأرض. فيدرك الطبيب أثره على المجتمع، فلا يخذُلُ الأطباءُ مرضاهم.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الخامسة:

العبث بالشأن النسائي

طرحت الدكتورة نورة بنت خالد السعد، الكاتبة والأكاديمية السعودية، المعروفة، في الساحة الإعلامية، بكتاباتها الرزينة العاقلة المتعقِّلة (ربيع الحرف)، فكرةً مهمَّة حول أسلوب عمل المرأة، من منطلق انتمائي، وليس عمل المرأة فحسب. وركَّزت في وقفتها تلك على التنبيه إلى عدم استغلال المرأة لأنوثتها، أو بسبب أنوثتها، وإخراجها من سمتها وحيائها وحشمتها بحجَّة العمل. وكان طرحها واقعيًا، منتميًا لما تنتمي إليه الدكتورة نورة السعد، وجميع صويحباتها العاملات في مجالات شتَّى. وانبرى من يتَّهمها بأنها ستُعيد المرأة المعاصرة إلى حال المرأة في عصر المماليك.[1]

نحن، هنا، بحاجة إلى شخص متخصِّص في التاريخ الاجتماعي، أو الاجتماع التاريخي، ليبيِّن لنا ما كانت عليه المرأة في عصر المماليك. هل هي كما صوَّرها مؤرخون غير منصفين؟

(١) انظر: شوقي أبو خليل. تحرير المرأة ممَّن؟ وفيمَ حرِّيتها؟.. ط ٣.. بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.. ٧٩ ص.

أم أنَّها، كما رسمها مستشرقون، قابعة في سكن الحريم، مهيَّأة للرجال، متى ما عادوا إلى لهوهم، وهي جزء من لهوهم، على اعتبار أنَّ الحياة عند هؤلاء، في نظر بعض المستشرقين من المؤرِّخين، كانت لهوًا وعبثًا؟[1]

كثيرًا ما نظلم المماليك في حياتهم السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية، بل وصوَّرهم الإعلام الاستشراقي الغربي، والإعلام القومي العربي، على أنَّهم كتلٌ من الغباء المركَّب، والشهوات الجامحة. ولعلَّ هذا كان من إيحاءات استشراء المدِّ القومي في بدايات القرن الهجري الرابع عشر، القرن العشرين الميلادي. وبهذا ننسى الجهود التي قام بها المماليك لصدِّ الغزو الفكري والعسكري على المجتمع المسلم، ومنه المجتمع الغربي. هذه واحدة.[2]

والأخرى أنَّ الدكتورة **نورة السعد** كانت تنطلق، في وقفتها تلك، إلى الرغبة في إيجاد بيئة عمل للمرأة، تُعفيها من التعرُّض لما تتعرَّض له المرأة العاملة في مجتمعاتٍ لم تهتمّ بإيجاد هذه البيئة، واعتبرتها رجوعًا إلى عصر المماليك، وبالتالي، انغلاقًا

(١) انظر: عقيلة حسين. **المرأة في الفكر الاستشراقي**.. بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.. ٢٩٠ ص.

(٢) انظر: إرفن جميل شِكْ. **الاستشراق جنسيًا**/ ترجمة عدنان حسن؛ تقديم ممدوح عدوان.. بيروت: قدمس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.. ٣٥٨ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتحجيماً لإمكانيات عمل المرأة، وتوسيع فرص إسهامها في سوق العمل. وإسهام المرأة في سوق العمل لا يراد له أنْ يكون على حساب المبادئ والمثل و القيم، التي صاغت هذا المجتمع.(١)

المؤكَّد أنَّ هذا ليس قصد أولئك الذين اتَّهموا الدكتورة نورة السعد بتلك الاتِّهامات، ولكن ذلك يعود كله، ربَّما، إلى النظرة العاطفية للمرأة، في مجال خروجها للعمل. وليس أولى من المرأة إلا المرأة نفسها، حين تتحدَّث عن مجال خروجها للعمل، فهي التي ترقب صويحباتها العاملات، ومدى الموضوعية والواقعية في إسناد بعض الأعمال لهن.

لا بُدَّ من التوكيد على الوضوح ، من منطلق منهج الوسط، في الطرح حول إيجاد بيئة عمل للمرأة، تسهم فيه في تنمية المجتمع، ويكون وسيلةً تسترزق من ورائه، ولا بُدَّ من الابتعاد عن كل أساليب الحوم حول الحمى، دون الوقوع فيه، ذلك أنَّ المشكلة التي تعاني منها المرأة، ويعاني منها الرجل كذلك، هي المراد من عمل المرأة، أو المراد من المرأة في عملها.(٢)

---

(١) انظر في الدعوة إلى تخطِّي القيم والمثُل والمبادئ: المناظرة بين كلٍّ من أميمة أبو بكر وشيرين شكري. **المرأة والجندر: إلغاء التمييز الثقافي والاجتماعي بين الجنسين**. دمشق: دار الفكر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. ٢٥٥ ص. (سلسلة حوارات لقرن جديد).

(٢) انظر في مسالة حقِّ المرأة في العمل: جمال الدين محمَّد محمود. **المرأة المسلمة في عصر العولمة**. القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م. ٢٢٢ ص.

الذين يسافرون في رحلات عمل أو سياحة يجدون هذا السؤال قائمًا. وأكاد أقول: إنَّ المرأة قد أحيلت، في كثير من الحالات، إلى أداة، أكثر من كونها امرأةً عاملة. هذه الأداة هي جعلُها كما أراد أنْ يعبِّر عنه بعض الذين ردُّوا على الدكتورة **نورة بنت خالد السعد**. ويبدو أنَّها أحيلت إلى أداة لمجرَّد متعة النظر، وإشباع رغبات ذاتية، وبالتالي، طُلب منها أنْ تتزيَّن للعمل، وأنْ تلبس أحسن الثياب، وأقلَّها ما أمكن، فلم يعد التبرُّج قاصرًا على أهل الفنِّ والمواخير الليلية، بل أضحى مرئيًا في الشارع، والمتجر والمكتب والمشغل.

المؤمَّل من الجميع تأمُّل هذا الطرح، والنظر إليه مرة أخرى بموضوعيةٍ وواقعيةٍ، وقليلٍ جدًّا من العاطفة، التي تشطح بالموضوع، وتبعده عن الخروج بنتيجة.[1]

أهم العوامل التي تراعى في إيجاد بيئة عمل للمرأة، وليس هو العامل الوحيد، هو الابتعاد عن المخالطة، الذي ولَّد ما ولَّد من مشكلات اجتماعية، لها أوَّل، وليس لها آخر. ثم تأتي العوامل الأخرى في هذه البيئة، تراعى فيها طبيعة المرأة، وحاجتها إلى

(١) انظر في مسألة تحرير المرأة: العمل الموسوعي الذي تولاَّه عبدالحليم محمَّد أبو شقَّة. **تحرير المرأة في عصر الرسالة: دراسة عن المرأة جامعة لنصوص القرآن الكريم وصحيحي البخاري ومسلم** ـ ٦ ج ـ ط ٦ ـ الكويت: دار القلم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمور مهمَّة في حياتها اليومية، تجدها أمامها في العمل.[1] وهذا الذي سعت إليه منظمة العمل الدولية، حينما كان من تركيزها في مؤتمرها العامّ الذي عقد عام ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، مسألة الأمومة لدى العاملات، وإيجاد البيئة للرعاية والمتابعة، منذ الحمل، فالولادة، فالرضاعة والحضانة، مع إيجاد أماكن مخصَّصة لراحتها، وراحة رضيعها. وكان هناك نقاش طويل حول مدَّة الرضاعة أو الحضانة، كان موضعَ جدل بين فريق العمل وفريق أصحاب العمل، ولم ينتهِ النقاش إلى رؤية محدَّدة في تحديد المدَّة التي يمكن للمرأة العاملة فيها أنْ تحضن رضيعها.[2] من هذا المنطلق، تفرض قوانين (أنظمة) العمل إيجاد هذه البيئة للمرأة لتحضن رضيعها، في أوقات تحدِّدها اللوائح، المنبثقة عن هذه القوانين (الأنظمة).

نقاش هذا الموضوع، بيئة عمل المرأة، لا يقتصر على الجانب المحلِّي فحسب، ولكنْ كلٌّ ينظر إليه من منطلقاته الثقافية، وانتماءاته وعاداته وتقاليده. ولا بُدَّ من التوكيد، مرَّة أخرى، أنَّ

(١) انظر: إبراهيم بن مبارك الجوير. عمل المرأة في المنزل وخارجه ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ـ ١٢٠ ص.

(٢) انظر: منظمة العمل الدولي. التقرير الرابع: حماية الأمومة في العمل: مراجعة اتفاقية حماية الأمومة (مراجعة) ١٩٥٢ (رقم ١٠٣) والتوصية، ١٩٥٢ (رقم ٩٥) ـ جنيف: مكتب العمل الدولي، ١٩٩٩م ـ ١٢٩ ص.

الذين انبروا للردِّ على الدكتورة نورة السعد في طرحها المتعقِّل ليسوا منطلقين من منطلقاتٍ تغريبيَّة، فيها تقليد للآخر، ورغبة في الخروج من السمت والاحتشام، الذي عُرف عن المرأة المسلمة عمومًا، والعربية خصوصًا، والخليجية على وجه أخصٍّ. إلاَّ أنَّه، مع هذا، لا يخلو من تأثُّر بأفكار غير انتمائية، هي إلى العبث أقرب منها إلى النظرة الجادَّة للشأن النسائي.

عدم الموافقة على الطريقة التي تقدَّم بها الأفكار نابعٌ من الفهم أنها صيغت بمفهومات غريبة عن المجتمع المسلم، وتريد فرض هذه الأفكار، على حساب المفهوم الإسلامي النظري والتطبيقي للمرأة، على اعتبار أنهم يزعمون أنَّ الإسلام يميِّز بين الرجل والمرأة.[1] فأصبح الموقف موقفَ المدافع، عندما يُبيِّن موقف الإسلام من المرأة، بأسلوب يُرغب فيه في إقناع الآخر بهذا الموقف، بعبارات عامَّة، يبدو أنَّها صادرة عن ردِّ فعل.

لا ينبغي اللجوء إلى موقف الدفاع، في الشأن النسائي وفي غيره، بقدر ما ينبغي إثبات حقائق، جاء بها القرآن الكريم وسنَّة المصطفى ﷺ، ومورست في حياة المسلمين، وقبلت بها المرأة

(١) انظر: عبدالمجيد الزنداني. **المرأة وحقوقها السياسية في الإسلام**. الكويت: مكتبة المزار الإسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ١٨٠ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسلمة، إيمانًا منها، واعتقادًا بها، ولم تُملَ عليها.[1] هذا مع التوكيد على مرجعية هذا الموقف، دون الخلط بين المرجعية الشرعية والمأثورات الاجتماعية، التي لم تكن إيجابيةً في موقفها من المرأة.

إذا كانت المرأة تعاني في بعض المجتمعات من التفرقة، وسوء المعاملة، فإنَّ هذا لا يعني، بالضرورة، مطابقة هذا على المرأة المسلمة، في الأسرة المسلمة الملتزمة بالإسلام. كما أنَّ ممارسات بعض المجتمعات المسلمة تجاه المرأة، تقليدًا اجتماعيًا موروثًا، لا يعني تماشي هذه الممارسات مع الدين، ولا تؤخذ حجَّةً على الإسلام.[2]

☆ ☆ ☆

(١) انظر في موضوع **المرأة بين الدين والأخلاق**: المناظرة بين كلٍّ من نوال السعداوي وهبة رؤوف عزَّت. ـ المرأة والدين والأخلاق ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م ـ ٣٢٨ ص ـ (سلسلة حوارات لقرن جديد).

(٢) انظر: سهيلة زين العابدين حمَّاد. **المرأة المسلمة ومواجهة تحدِّيات العولمة**. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ٢١٥ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة السادسة:

العبث بالأسرة

المقصود به، هنا، التصدُّع الأسَري، لاسيَّما بين المتزوِّجين الشباب، حيث تشير الإحصائيات أنَّ نسبة الطلاق بينهم مرتفعة، وأنه لا تكاد تمرُّ أيام، أو شهور، على الزواج إلا وتنشأ بين الزوجين خلافات، تؤدِّي بهما إلى اللجوء إلى المحاكم. مع أن هناك نسبةً منهم يُنهون ارتباطهم ببعض، دون اللجوء إلى المحاكم، إلا لإخراج صكِّ الطلاق.

هناك، على سبيل المثال، ستون (٦٠) حالة طلاق بالمملكة العربية السعودية في اليوم، (١٤) حالة منها في الرياض. وهناك ٢٤٠ في مصر، وتصل نسب الطلاق في المملكة العربية السعودية ٢١٪، وفي الإمارات العربية المتَّحدة ٤٠٪، وفي قطر ٣٨٪، وفي الكويت ٣٥٪، وفي البحرين ٣٤٪.

يواجه القضاة مسؤولية عظيمة، عندما يدركون أنَّ الأسباب التي أدَّت إلى هذه الحال ليست بذات بال، بل ربما كانت في نظر القاضي، وبعض المتعقِّلين، أسبابًا لا تصل إلى مستوى الخلاف، فيعمد القضاة إلى إصلاح ذات البين، وإعطاء الزوجين المهلة

للتفكير في الأمر، لاسيَّما إذا كانت نتيجة هذا الزواج طفلاً أو طفلين.

إنَّ مجرَّد التفكُّك، بحدِّ ذاته، دون النظر إلى وجود أطفال، يُعدُّ مأساةً اجتماعيةً، لها آثارها النفسية على الزوجين. ومع هذا يظل هناك هامشٌ معقولٌ ومقبولٌ، عقلاً وعرفًا، في وجود عدم توافُق، ينهي العلاقة بالطلاق، طالت المدَّة أم قصُرت. وتعدَّدت الأسباب وراء هذه المشكلة.

لعلَّ من أسباب تفشِّي هذه المشكلة، الآن، في بيوتنا هو ما يتمخَّض عن المسلسلات الاجتماعية، التي تلبس لباسنا، وتتحدَّث لهجتنا، ولو مصطنعةً متصنَّعةً، فتصوِّر الحياة الزوجية على أنها نزاعٌ وتنابُزٌ وتحدٍّ بين الزوجين، وتطاولٌ من كلٍ منهما على الآخر، فأضحت الحياة في هذه المسلسلات، التي تعرض في ساعات الذروة، تجسِّد الصراع، وتفتح أبوابًا وآفاقًا للخلاف، على حساب بعض المفهومات في العلاقات الأسَرية، التي تكفُل الحدَّ من مسبِّبات الخلاف، كالمودَّة والرحمة والشراكة والحبِّ.

من النادر أنْ تعرض هذه النوعية من المسلسلات عن زوجين بينهما انسجام تامٌّ، وتفاهُم، وتحمُّل من أحدهما للآخر، بل ربما أخذ هذا الطابع من الصراع سمة الفُكاهة والطُرفة. وهو، في الوقت نفسه، يترك في نفوس الشباب الانطباعة أنَّ الحياة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الزوجية إنَّما تقوم على هذا الأسلوب من الحياة، تكون فيه الزوجة، دائمًا، مكشِّرةً، ويكون فيه الزوج، دائمًا، عاليَ الصوت في البيت، ملتفتًا عن بيته بأصحابه وزملائه، ولا يأتي البيت إلا ليأكلَ وينام، إنْ لم يأكل في الخارج. وأغفلت هذه المناظرُ التمثيلية عواملَ السكن بين الزوجين، وأنَّ أحدهما سكنٌ للآخر، ولباس للآخر، وأن الأصلَ أنْ تقومَ بينهما، بقدرة الله تعالى وبالتوكُّل عليه، مودَّةٌ ورحمةٌ.

يبدو أنَّ هذه المسلسلات عاملٌ مؤثِّر جدًا، في العقل الباطن للشباب من الجنسين، وهو مؤثِّر سلبًا، مع الأسف الشديد، لا إيجابًا، وإنْ كان يظهر عليه طابعُ التهريج، حتى لتشعر أنك تشاهد عروضًا مسرحية مدرسية، من الناحية الفنية والمضمون، بعيدةً عن أنْ تكون ذات رسالة سامية هادفة، بل قد تجرُّ المرءَ المتابع إلى أنْ يتَّهمها بأنَّها ذات رسالة هادمة، وهو ليس قصدَ من يقومون بالمَشاهد؛ لأنَّ معظمهم لا يصل إلى هذا العمق، بل هم مركِّزون على الشهرة والأضواء، والمقابل المادِّي، الذي يتلقَّونه من المحطَّات التلفزيونية، التي أضحت «على قفى مَن يشيل». وما يدرون، وليتهم يدرون، أنَّهم يتحمَّلون، بعملهم هذا، وزر أيِّ بيت يتصدَّع في مستقبل الأيام، وما ينتج عن ذلك كله من آثار وخيمة على المجتمع.

لست أدعوهم إلى مراعاة ذلك، فلن يراعوه؛ لأنهم لن يجدوا مادَّة تضمن لهم الإقبال، ولكنِّي أدعو المقبِلين إلى أنْ يُدبروا عنهم. وأدعو الآباء والأمَّهات إلى تنبيه الأولاد، بنين وبنات، بالقدوة، بأنَّ الحياة خير كلُّها، إذا أريد لها أنْ تكون خيرًا كلَّها، وأنَّ قيام البيت يتَّكئ على عوامل، كلُّها تصُفُّ في مسار التفاؤل والتضحية ومعرفة الأدوار، والاحترام المتبادل، وإيجاد جوٍّ من المودَّة والرحمة والحبِّ، وهذا ما لا تقدِّمه المسلسلات السطحية، التي يقبل عليها الناس، لاسيَّما الشباب والشابات منهم.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة السابعة:

العبث بالتناسُل

التناسُل نعمة من نعم الله تعالى على خلقه، وفيه حفظ للحياة، وامتداد للعيش على هذه البسيطة. وينفق الناس الكثير من الجهد والمال والتفكير، إذا ما تبيَّن لهم أنهم غير قادرين على الإنجاب: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾(الشورى ٤٩-٥٠).

في النفس البشرية الرغبة في الحصول على بنت، إذا كانت الأمُّ تنجب بنين: ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾، (من الآية ٤٩ من سورة الشورى). وفي النفس الرغبة في الحصول على ابن، إذا كانت الأمُّ تنجب بنات: ؟﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا﴾، (من الآية ٤٩ من سورة الشورى). ويشعر الأبوان بالسعادة إذا ما أنجبا بناتٍ وبنين: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾. (من الآية ٥٠ من سورة الشورى).

في بعض المجتمعات برزت ظاهرة استئجار الأرحام، في سبيل الحصول على النسل، فتُستأجر امرأة، تحمل للزوجين، Surrogate Mother، ويتابعانها مدَّة الحمل، وقد تنقلب عليهما في النهاية، وتطالب بالاحتفاظ بما في رحمها، بعد أن تعيش هذه

التجربة، ولذا لجؤوا، في بعض الحالات إلى أمِّ الزوجة، تحمل من زوج ابنتها، دون اتصال جنسي مباشر، حتى يضمن الزوجان عدم تغيير الحامل رأيها، وقرارها حفظ الجنين تحت رعايتها.

المعلوم عندنا، من منطلق انتمائي، أنَّ هذا غير جائز شرْعًا، ومثله شراء الأطفال أو تبنِّيهم: ﴿آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (الأحزاب ٥).

نحن نعلم، الآن، أنَّ العالم الغربي يعاني من قلَّة السُكَّان، رغم صغر المساحة، وكثرة الموارد، وأن هناك فجوةً زمنيةً عمْريةً، تكاد تصل إلى جيل بكاملة، بحيث أصبحت تلك المجتمعات مقسَّمةً بين كبار السن وصغار السن، وصغار السن أقلُّ بكثير من أنْ يأخذوا دورهم في بناء تلك البقعة الغنية من العالم. ولذا نجد حكماءهم وعلماء الأنثروبولوجيا والديموجرافيا منهم ينادون بحلول جذرية لتدارك هذا الفناء البطيء. وهذا سيؤثِّر على تلك البلاد في أوروبا وأمريكا الشمالية، على وجه الخصوص.[1] بما في ذلك هاجس أن تكثر الهجرات من الدول النامية، دول الجنوب، فتكون هي الأكثرية، على

(١) انظر: باتريك ج. بوكانن. موت الغرب: أثر شيخوخة السكَّان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب/ نقله إلى العربية محمَّد محمود التوبة؛ راجعه محمَّد بن حامد الأحمري. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م. ٥٢٩ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حساب أهل البلاد الأصليين، مع ما يتبع ذلك من تغيُّرات ديموغرافية وثقافية. ولذا زادت الدعوة إلى وجود حوافز للتكاثُر، وخفتت الدعوات، في الغرب، إلى تحديد النسل. وهي قوية في الدول النامية.

الدعوة إلى تحديد النسل تحتاج إلى وقفات انتمائية منقادة إلى الحكم الشرعي، بعيدًا عن التبعية والتأثُّر بغيرنا، لمجرَّد أنَّهم يملكون، الآن، مقوِّمات التأثير على الناس. ولعلمائنا تفصيلاتٌ في هذا الجانب، كما أنَّهم قادرون على النظر إلى هذه المسألة، من منطلق عَقَدي، مربوط بحكمة الله تعالى، وتدبيره لهذا الكون، في الماضي والحاضر والمستقبل.

كما يملك العلماء، علماء الشرع والأنثروبولوجيا، والاجتماع والتربية وغيرهم، القدرة على التوعية بهذا الشأن، مؤكِّدين على الاتِّكال على الله تعالى، جاعلين إرادة الناس نابعةً من إرادة الله تعالى ومشيئته، وليست موازيةً لها، زعمًا لا حقيقةً، وبالتالي ليست متعالية عليها، مع التطلُّع إلى الوصول إلى الحكمة من هذا الخالق الحكيم في خلقه، المتمثِّلة، أوَّلاً، في عبادة الله تعالى، ثم تأتي بعد ذلك عمارة الأرض، والاستمتاع بالحياة، في الحدود الشرعية التي تكفُل استمتاعًا مقبولا، متماشيًا مع الفطرة، ومن ذلك التناسُل والتكاثُر، والأولى لنا جميعًا أنْ ننظر لهذه النعمة من هذا المنطلق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الثامنة:

العبث بتقنية الجنين

ظهر في الهند قرارٌ بمنع استخدام أجهزة الأشعَّة فوق الصوتية، التي تكشف على الحامل من النساء، وتدلُّ على طبيعة الجنين، من حيث الجنس، ذكرًا كان أم أنثى. والسبب في المنع، على ما قيل، هو أنه إذا ظهر على الجهاز أن الجنين أنثى عمدت الأمُّ، أو زوجُها، أو أهلُها، إلى إسقاط الجنين بالإجهاض.

نقلت وكالة رويترز للأنباء (الجمعة ٢٤/ ١١/ ١٤٢٧هـ الموافق ١٦/ ١٢/ ٢٠٠٦م) عن صندوق الأمم المتَّحدة لرعاية الطفولة (اليونيسيف) أنَّ حوالي عشرة ملايين (١٠,٠٠٠,٠٠٠) طفلة تعرَّضن للإجهاض أو الوأد خلال العشرين سنة الماضية، بمعدَّل خمس مئة ألف (٥٠٠,٠٠٠) طفلة سنويًا. وأنَّ نسبة مواليد الإناث في الهند تقلُّ سبعة آلاف عن المتوسِّط العالمي كلَّ يوم.

السبب في إجهاض الجنين الأنثى، على ما قيل، هو أنَّ الأسرة لا تستطيع أن تتحمَّل أعباء هذه الأنثى، عندما تولد، ولا تستطيع تحمُّل الإنفاق عليها عند زواجها، على اعتبار أنها هي المعنية بالمهر، وربَّما التجهيز، فَعُدنا إلى فكرة وأد البنات، ولكن،

الآن، مع مساعدة قويَّة من منجزات الحضارة الحديثة، والتقنية المتقدِّمة.[1]

ليس في هذا اعتراض على منجزات الحضارة الحديثة، ولا على التقنية المتقدِّمة، فهي نتاج العقل البشري، إلا أنَّ نتاج العقل البشري يصطدم، أحيانًا، بمعطيات البيئة الثقافية والاجتماعية، مما يؤكِّد مفهوم التوعية والرقي بالمجتمعات الأخرى، قبل إقحامها في قبول معطيات التقنية الحديثة، أو إقحام التقنية فيها.

ليس الأمر كذلك فقط، بل إنَّ الموضوع يتعلَّق بالنظرة إلى البنات، التي كانت موجودةً من قبل، ولا تزال موجودةً في كثير من المجتمعات، التي لم تصل إلى مستوى الفهم الدقيق للحياة والدنيا، فاتَّكأت على الأسباب، وكانت نظرتُها قاصرةً، قائمةً على تفكير غير دقيق. والنظرة القاصرة والتفكير غير الدقيق تؤدِّي إلى مآسٍ في بناء المجتمع، ومنها هذه المأساة في النظرة إلى البنات.

ولَّد هذا فئات من النساء والرجال نقموا على المجتمع الذي نظر هذه النظرة إلى الأنثى، فسعوا، بوعي أو دون وعي، إلى

(١) انظر: صالح بن عبدالرحمن الحصيِّن. **قضايا بلا حدود**. الرياض: المسلم اليوم، ١٤٢٥هـ. ص ٦٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تصديع الأسر، وإعادة النظر في العلاقات الأسرية، ضاربين لذلك مثلاً في أنفسهم، بالعزوف عن الزواج، أو الافتراق عن الزوج، إنْ كنَّ متزوِّجات. وحيث إنَّ هناك حاجاتٍ فطريةً، لا تحقَّق إلا بالاتِّصال بين الذكر والأنثى، لجأوا إلى ممارسات تتعارض مع الفطرة، ومع طبيعة الأشياء.

من أوَّل ما يتبادر إلى الذهن، هنا، هو التوكيد على النظرة بعيدة المدى، والتفكير السليم. وهذه تحتاج إلى قوَّة عظمى في إقناع البشر، في عدم الاعتماد على الأسباب، مع مطالبتهم في اتِّخاذها، والاجتهاد في طلبها، دون الاتِّكاء الكامل على العقل هنا.

نظرتنا نحن المسلمين في هذا المجال واضحة؛ لأنَّ القوَّة العظمى واضحة عندنا، وهي هي عند الجميع، وهكذا ينبغي أنْ تكون، تتمثَّل في وجود خالق مدبِّر رازق، لمن هو موجود من الخلائق من البشر وغيرهم، ولمن سيوجد، بعلم الله تعالى، من الخلائق كذلك. وكل هذا بتدبير من الله تعالى، ولا نظر هنا إلى الإشاعات حول إمكانية التحكُّم في نوع الجنين، فهذه تقنيات علمية، لا يقف الدين حيالها موقفًا، بقدر ما تكون بها مصلحة للناس، إذ إنَّ "مقاصد الأحكام مصالح الأنام"، كما يقول الأصوليون من علماء المسلمين.

لا نظر إلى الحالات الخاصّة، التي تنعتق من الفئة الرابعة، حالة العقم، إلى إحدى الفئات الثلاث السابقة، حالات الإنجاب، فهذا كله بإرادة الله تعالى، ثم بالجدِّ في اتخاذ الأسباب، فلا معجزات هنا، ولا تدبيرَ بشريًا، دون البقاء في الإطار العامّ لإرادة الله تعالى وتدبيره. هذا من ناحية نوع الجنين، وما يعتري البعض عندما يعلم أنَّه رُزق، أو سيرزق ببنت، فيظلُّ وجهه مسودًّا وهو كظيم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (النحل ٥٨). وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾(الزخرف: ١٧) (. فهذا خُلُق جاهليٌّ، دون النظر إلى الزمان، فالقرن الحادي والعشرون يمكن أنْ تكون فيه جاهليَّات كهذه.

أما من ناحية الرزق والتربية والتنشئة فإنَّها مكفولة للإنسان، من حيث ما قدَّره الله تعالى له، فإنْ كان الخوفُ من البنات قائمًا على عدم القدرة على تربيتهن ماديًّا، فإنَّ الله تعالى قد تكفَّل برزق الأهل أولًا، ثم رزق الأبناء والبنات، ثانيًا. ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(الأنعام: ١٥١). وإنْ كان الخوف قائمًا على خشية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عدم قدرة البنات على السير ماديًّا في الحياة، مع إمكان التربية في وقت الولادة والطفولة، فإنَّ الله تعالى، كذلك، قد تكفَّل برزق الأبناء والبنات، حينما يشبُّون عن الطوق، مع رزق أهلهم معهم. ؟ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٣١). ولدينا العبارة الفطرية القائمة على قاعدة إيمانية حينما نقول: «رزقهم يأتي معهم».

نحن، هنا، نعني البنين والبنات. وهذا، متى ما كان الاعتقاد فيه قويًا، يحصل عمليًا وماديًّا. أما إذا كان الاعتماد على الأسباب في الرزق، فإنَّ الله تعالى يترك المتَّكل على الأسباب إلى أسبابه، مما يقتضي افتقاره، لأنَّ الأسباب ليست عواملَ رزق، أكثر من كونها أساليبَ ووسائلَ للارتزاق.

من هذا المنطلق يمكن لعلماء الأمَّة وحكمائها النظر إلى التعامُل، وبمنهج الوسط، مع الفورة السكَّانية التي تجتاح العالم، لاسيَّما ما اصطلح على تسميته بالعالم الثالث، المتركِّز في الدول النامية، أو دول الجنوب.

الله تعالى، عمومًا، يرزق من يشاء بغير حساب، ومتى ما كان هذا المفهوم راسخًا في الذهن اعتقادًا، انتفت المخافة من نوع الجنين، وكثرة الأولاد، وما إلى ذلك، مما له علاقة مباشرة بالعيش في هذه الحياة الدنيا.

مع قوَّة الاعتقاد ورسوخه عند من يُرزقون بالبنات، فإن الله تعالى يجعل فيهن بركةً، لوالديهنَّ، صغيرات وكبيرات، قد تفوق بركة الذكور، الذين يكون التعلُّق بهم، أحيانًا، على حساب الإناث. والوقائع الاجتماعية تعين على تقريب هذا المفهوم من الأذهان، وقد تقف بركة الذكور حين الاعتماد على بركتهم، وعلينا أنْ نواجه هذا المفهوم بجدِّية وعمق وإيمان صادق، واتِّكال على الله تعالى في كل شيء، بما في ذلك الإنجاب، والاعتقاد الجازم أنَّ الإناث لسن بأقلَّ بركةً - بإذن الله تعالى - من الذكور، وأنَّهن لا يمكن أنْ يكنَّ عبئًا ماديًّا أو اجتماعيًا، بقدر ما هن لَبِناتٌ لبناء مجتمع حيٍّ نابض.

بقيت مسألة رأي شخصي حول هذه الأجهزة التي قد تكشف عن نوع الجنين، فليس هناك ميلٌ إليها قطعًا، لأنَّ الكشف عن الجنين، من حيثُ جنسُه، قبل ولادته لا يقدِّم ولا يؤخِّر، من حيث نوع الجنين، والانتظار، هنا، ممتع، وفيه تطلُّع إلى سلامة الجنين ووالدته، أكثر من التطلُّع إلى نوع الجنين. وإنما الذي يُحمد لهذه الأجهزة، إذا انتفى الضرر منها، هو قدرتها - بإذن الله تعالى - على متابعة نمو الجنين؛ رغبة في التأكُّد من سلامته الخَلْقية، وإمكان معالجة ما قد ينشأ من معوِّقات لدى الجنين، قبل ولادته.

الرأي، هنا، لا يقف في طريق التقنيَّة الحديثة، بقدر ما يؤكِّد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الغرض، أو الأغراض، التي تُستخدم لها هذه التقنيَّة، بأجهزتها المتطوِّرة. وقد يقال: إنَّه إذا جرَّت التقنيَّة الحديثة إلى مضارَّ، مثل ما يعتقد أنه حاصل الآن في الهند، فإنَّ هناك ما يسوِّغ رفضها، أخذًا بمبدأ درء المفاسد مُقدَّمٌ على جلب المصالح، وهذا أصل من الأصول التي نؤمن بها.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة التاسعة:

العبث بالذات جلداً

في الظروف الصعبة التي يمرُّ بها المجتمع المسلم، بأكثريَّته وأقليَّته وجالياته، يكثر ما يسمُّونه اليوم بجلد الذات، على مختلف الصُعُد الإعلامية والدعوية. وما تكاد تسمع، أو تقرأ، موضوعًا حول الوضع القائم إلا وتشعر بهذه اللهجة، تكاد تكون مسيطرةً على الطرح، فإمَّا أنْ نطرح اللومَ كلَّه على ذواتنا، وإمَّا أنْ نبحث عن "شمَّاعة"، نعلِّق عليها كلَّ الظروف الصعبة التي نمرُّ بها.

لدينا من النصوص الحكيمة الكفيلة بتشخيص الوضع من أساسه، يمكن استحضارها لكل حالة على حدة، نستشهد بها، لعلَّها تعيننا على التفهُّم الموضوعي لما نمرُّ به في زمن من الأزمان. ولدينا من شواهد التاريخ ما يجعلنا نستحضرها لنتبيَّن منها ما الذي مرَّت به الأمَّة في حقبة من الحقبات، وما أسباب مرورها بتلك المحن، وهل حقًا يعيد التاريخ نفسه؟

لدينا مقاييس شرعية قابلة للتمثُّل في كل زمان ومكان، هي معادلات شرعية مؤدَّاها أنَّ القرب من الله تعالى مدعاة للتَّمكين، وأنَّ البعد عن الله تعالى مدعاة للهوان. وكم ردَّدها العاملون بها.

ويبدو أنَّنا نحتاج إلى المزيد من التذكير بها. ولدينا مقوِّمات للعزِّة والمنعة، هي واقعية ومنطقية، وعلمية في الوقت ذاته، يقوم بها علماء فقِهوا في الدين، وفي السياسة، وفي الاقتصاد، وفي الاجتماع، وفي التربية، وفي النفس الإنسانية. يضمُّهم مجمع علمي بأي اسم يُسمَّى به المجمع، ويقرِّر هذا المجمع الموقف ممَّا تمرُّ به الأمَّة من الأحداث والوقائع.

مهما قيل عن العرب إنهم عاطفيون، فإنَّ هذه الأمور المصيرية، التي تغيِّر مجرى التاريخ لا تؤخذ أبدًا بالعاطفة، بالمفهوم الذي يتردَّد دائمًا عن العاطفة، وإنَّما تؤخذ بالمعايير الشرعية، التي لا يدركها إلا الراسخون في العلم، وإنْ لم يكن الأمر كذلك فما الحاجة إلى العلماء؟

لدينا في علاقاتنا مع الآخر تقليد أو تقاليد دبلوماسية، وأعراف دولية، من خلالها تُحلُّ الأمور، وتعالج الأزمات، بعيدًا عن الفورات، وردود الفعل الآنية. وكثيرًا ما صبرت البلاد العربية والإسلامية، وتحمَّلت، ومالت إلى جانب الحكمة في معالجة الأزمات، فنالت المزيد من التقدير والثقل الإقليمي والعالمي. وفي ضوء هذا كلِّه فإنَّ جلد الذات يوهن من العزائم، ويضعف الهمم، ويولِّد الانهزامية، وينزع الثقة من النفس. وقد يصل بنا إلى محذورات شرعية، فيما له علاقة بعقيدة المؤمن، وبقوَّة إيمانه بالله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعالى، ثم بعزِّ هذا الدين ونصرته، ممن ينصرونه بنصر الله تعالى.

أحسب أننا نمرُّ بأزمة صعبة، وتزداد صعوبةً مع الوقت، وليست، بحال، خانقة، حتى لا ندخل في مفهوم جلد الذات، ولكنها على أيِّ حال صعبة، وسنتجاوزها - بإذن الله تعالى - إلى ما فيه خير للأمَّة عامَّة، وللبلاد خاصة، بعون من الله تعالى، ثم بالنظرة المؤسَّسية للأوضاع ومعالجتها، والتعامُل معها من هذا المنطلق الذي ركَّزت عليه هذه الوقفة. والنظرة المؤسَّسية هذه جمعت بين الثبات والنماء، بين الأصالة والمعاصرة، في النظر إلى الأحداث المحدقة.(١)

على هذا، فإننا مطالبون، منبريًا و إعلاميًا، بالكفِّ عن جلد الذات، والنزوع، بالتالي، إلى النظرة المتعقِّلة التي تعطي هذه الأمَّة قدرها وقيمتها التي هي عليها، وأنَّها أمَّةٌ قامت عزيزةً، وسارت عزيزةً، وستظل على ذلك عزيزةً قويةً مكينةً متمكِّنةً، تنشر الخير، وتحفِّز على الاستقرار، وتبعث في الناس الطمأنينة والأمان، على اعتبار أنها أمَّة هي خير أمَّة أُخرجت للناس، لأنها تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله تعالى. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

(١) انظر: أكرم ضياء العُمَري. التراث والمعاصرة- الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٥هـ- ١٤١ ص- (سلسلة كتاب الأمَّة؛ ١٠).

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ١١٠).

وصل جلد الذات ببعض من قومنا إلى حدِّ اليأس أو القنوط، إلى درجة ينبري فيها أحد رموز المسلمين في مؤتمر عام، ويشنِّع بالمسلمين جميعًا، ويصفهم بالرِّعاع، وكأنَّه ليس بينهم علماء وحكماء وطلبة علم، وقيادات تغار على الدين، وتعمل على تثبيته في النفوس، في الوقت الذي يحاول فيه الآخر، من المستشرقين والمنصِّرين والمنافقين، نزع سلطان الدين من النفوس، كما يقول كلٌّ من المستشرق المنصِّر هاملتون جب والمنصِّر المستشرق السموءل"صاموئيل" زويمر.(١)

لا يتوقَّع المسلمون أنْ يتحوَّلوا جميعًا إلى رعاع ودهماء، وإنْ توقَّع المسلمون أنْ يكون بينهم رعاع ودهماء، مثلما بين غيرهم من الخليقة، الذين وجدوا في الزمن الماضي، ويوجدون في الزمن الحاضر، وسيوجدون في الزمن الآتي.

مع هذا، فلم يتحوَّل المسلمون إلى رعاع ودهماء فقط؛ لأن الأمَّة الإسلامية تمرُّ اليوم بمنعطف حرج، أدَّى بالآخر إلى غزو

(١) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته ـ مرجع سابق ـ ٢٤٨ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعض بلاد المسلمين؛ لتحريرها من تخلُّفها. وليست كل بلاد المسلمين ترفل بسلاسل التخلُّف، بل إنَّ بلادًا من بلاد المسلمين تحكم بما أنزل الله، وتدعو إلى الحكم بما أنزل الله (المملكة العربية السعودية، نموذجًا)، وتسعى إلى تقديم ما أنزل الله للآخر، على منهج من الوسطية والاعتدال والتسامُح.[1] هذه الثلاثية التي برزت الحاجة إليها بقوة في هذا الزمان مع الذات، ومع الآخر.[2]

إنَّ وسمَ المسلمين بالرعاع إنَّما هو حلقة في سلسلة جلد الذات، وهو من العبث الذي ما فتئنا نسمع عنه ونقرأ، من قِبَل عدد من أولئك الذين دبَّ اليأس في أذهانهم وعقولهم. ولعلهم يتذكَّرون موقف النبي يعقوب عليه السلام عند فقد ولديه؛ ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف ٨٧). و﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (الحجر ٥٥-٥٦).

---

(١) انظر: محمَّد بن عبدالقادر هنادي. **تطبيق الشريعة الإسلامية في العصر الحديث ونموذج المملكة العربية السعودية**. الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. ١٣٤ ص. (سلسلة شهادات؛ ٢).

(٢) انظر: رفيق حبيب. **حضارة الوسط: نحو أصولية جديدة**. القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. ٢٥٩ ص. (سلسلة في فقه الحضارة العربية الإسلامية).

الحذر، هنا، مطلوب، وبقوَّة؛ لئلا يظنَّ ظانٌّ أنَّ إيراد هاتين الآيتين فيه تصريح، أو تلميح، إلى رمي الآخرين بالكفر، أو الضلال، في الوقت الذي تدعو فيه هذه الوقفة إلى الوسطية والاعتدال والتسامُح.[1] والحقُّ يقال إنَّنا نتوخَّى الحذر الشديد في إسقاط مدلول الآيات أو الأحاديث على غير معناها المراد بها.

لست إخال عالِمًا من علماء الأمَّة، أطلق عليها لفظ الرِّعاع، يصل به الأمر إلى هذه الدرجة، وإنْ كان هناك مَن يريد أنْ يوصلها إليه، ولكنها أحكام شرعية دقيقة لا تخضع للهوى، وتحتاج إلى الراسخين في العلم، ليقولوا فيها الحكم الشرعي.

المؤمَّل ألاَّ يُسهم المنتمون لهذه الأمَّة في تحقيق أغراض الآخر، بصورة غير مباشرة، حتمًا، وبحسن نية، لاشكَّ فيها، وبدافع من الغيرة على الأمَّة وقدراتها، وبرغبة أكيدة في التغيير إلى الأفضل، إلا أنَّ الوسيلة قد توافق ما يسعى إليه الآخر، من خلال هذا الطرح في جلد الذات، وتثبيط الناس، مما قد يدخل ضمنًا في حديث المصطفى **محمَّد بن عبدالله** ﷺ: «إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلَكُهم، (أو هو أهلَكَهم)».[2]

---

(١) انظر: شوقي أبو خليل. **التسامُح في الإسلام: المبدأ والتطبيق**. ط ٢ ـ دمشق: دار الفكر، ١٩٩٨م. ـ ١٤٣ ص ـ (سلسلة هذا هو الإسلام؛ ٣). وانظر، أيضًا: عبدالمحسن شعبان. **فقه التسامُح** ـ بيروت: دار النهار، ٢٠٠٥م.

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن قول: هلك الناس. حديث رقم: ٤٧٥٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السخرية، هنا، أنَّ من وصم المسلمين بالرِّعاع قد أعلى من شأن الآخر بحضوره، حتى لقد قيل: إنَّ المسلمين في هذا الموقف قد خرجوا بحال لا تسُرُّ الصديق، وخرج الآخر بحال عالية.

مهما يكن من أمر، فبقدر ما يكونون قريبين من شرع الله ينتفي عنهم، ومنهم، بأنهم رعاع. وسيظل بين المسلمين مسلمون على علم، وعلى وعي، وعلى دراية، فيهم غيرة على الإسلام والمسلمين، ولديهم رؤية واضحة عن الوضع الذي يعيشونه، ويدركون حكمة الله تعالى في هذا الوضع.

لتلافي هذا العبث في القول، لعل من حقِّ الفرد العادي أنْ يهمس في أذن أشخاص غير عاديين، بعلمهم وفضلهم وسبقهم وحكمتهم، بأنْ يتجنَّبوا الخوض في أمور الأمَّة، في حال مرورهم بظرف نفسي مؤلِم، ليجنِّبوا أنفسَهم، وغيرَهم من المتلقِّين، الوقوع في زلَّة اللسان، التي قد تهوي بالأمَّة في غياهب الظلمة، وهي أمَّة النور، ومن كتابها وسُنَّة نبيِّها محمَّد بن عبدالله ﷺ يُستقى النور.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة العاشرة:

العبث بالمظهر

يشدُّ الانتباه ما تطرحه الصحافة عن الشباب، وما يتعرَّضون له، الآن، من تسطيح وتسفيه في حياتهم، ودعوَتُها لذوي الأقلام في الإسهام في معالجة هذه الظاهرة، التي لا تبرز آثارها في القريب العاجل، ولكنَّها ستظهر عندما يتسنَّم هؤلاء الشباب المسؤولية، بعد سنين معدودة.

تنصبُّ هذه الرؤية على فئة من الشباب الذين هيَّأ الله لهم الظروف المادِّية الطيِّبة، التي أسهمت في ضعف شعورهم بالحاجة، ما دام كلُّ شيء مهيَّأً لهم من المأكل والملبس والمسكن والمركب، ثم مصروف الجيب، ممَّا حدا بهم إلى الاهتمام بأمور سطحية في الفكر والسلوك، أسهمت في هذا التسفيه. ويعينهم على ذلك مغريات جاهزة موجودة بين ظهرانيهم، فأثَّر هذا كله على تحصيلهم العلمي، وأثَّر كذلك على فهمهم للحياة، وما فيها من حاجة إلى الارتقاء.

اكتفى بعضهم بتوفير الكماليات، المتوفِّرة أصلا، فطفِق يبحث عن المزيد، في سباق محموم مع التقليعات العبثية الشبابية، التي

توحي للمتابع بمدى ما وصلت إليه هذه الفئة من الهامشية والنظرة قريبة المدى، بحيث يصعب على الفتى مواجهة المواقف. تكاد تراهم في بعض المناسبات عندما لا تجد فيهم من يضع كلمتين في جملة مفيدة، إذا ما صادف أنْ كان بين الرجال، ولم يتمكَّن من الهرب منهم، قابعًا في مقصورته التي حوت كل مُلهٍ من الأجهزة والأشرطة، يما فيه من مضيعةٍ للأوقات والطاقات والآمال والطموحات.

هناك فئة عابثة سطحية ستدفع الثمن غاليًا، وهناك فئة جادَّة مدركة لمعنى الحياة، ستكون هي الأمل الذي تتطلَّع إليه الأمَّة، في حمل رسالةٍ تحتاج إلى سواعد الرجال وعقولهم لحملها؛ لأنَّها أمانةٌ ثقيلةٌ، لا يقوى على حملها إلا من أدركها، وأدرك ثقلها. مع قلَّة هؤلاء، بالمقارنة بأولئك، فإن قليلا جادًا من الشباب، تحسُن تربيتهم وتوجيههم، خير عند الله من كثير عابث، سوف يعيش على الهامش، ويكتفي، قسْرًا ودون إرادة منه، بأنْ يعيش عيشة مختلفة، تمامًا، عن عيشته هذه، عندما يتوقَّف عنه الدعم، الذي يتفيَّأ ظلاله هذه الأيام، وهو دعم مصطنع، قائم على قلَّة الحيلة من الوالدين الداعمين.

هناك فئة من الشباب، من الجادِّين الذين تراهم يستغلُّون أوقاتهم بالمفيد. فما أنْ يخرجوا من مدارسهم حتى تراهم بين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أهليهم في فترة راحة لابدَّ منها، ثم يتوجَّهون إلى الاطلاع والقراءة، ومتابعة أمورهم بجدِّية. ترى منهم من يعمل مساءً، ومنهم من يستغلُّ وقته الباقي في أمور منتجة لأهله وله، دون أنْ يعير اللهو انتباهًا أكثر من اللازم، ومع هذا فهو لا يغفل عن رغبته في اللهو البريء المباح الخالي من المضاعفات، التي تُخلِّفها بعض أنواع اللهو، الذي رزئت به الساحة العربية والعالمية هذه الأيام.

كنموذج لذلك، هذا طفل (فتى) في الثانية عشرة من عمره يعلِّق، تعليقًا عابرًا، على الأحداث الأخيرة في المنطقة العربية، لاسيَّما مع بروز فضيحة تعذيب الموقوفين في السجون العراقية، من قبل القوَّات المحتلَّة، ومذبحة قانا الثانية في لبنان: ماذا لو كان الوضع في مسألة التعذيب في سجن أبو غُرَيْب وغيره والغارات على المدنيين عكسيًا، ماذا ستكون ردود أفعال الآخر؟

تعليق هذا الفتى يبرز مدى سعة الاطِّلاع التي يتَّسم بها جيل هذا اليوم، في ضوء ما يحيط بهم من آليات نشر المعلومة، التي لم تعُدْ مقصورةً على من يبحث عنها في الكتب، وأوعية المعلومات التقليدية الأخرى، بل ظهرت أوعية معلومات حديثة، في متناول الفتيان والفتيات، مما أثَّر على نظريات نشر المعلومة، ومحاولات علماء المعلومات إيجاد عناصر مهمَّة تحيط بالمعلومة، أبرزها نظرية عالِم المعلومات الأمريكي **روبرت هَيز من جامعة كاليفورنيا**

في لوس أنجلوس (UCLA) في نهاية التسعينيات الهجرية/ السبعينيات الميلادية، وبداية الأربع مئة الهجرية، الثمانينيات الميلادية، تلك التي تحوم حول أربعة عناصر مهمة حول المعلومة، هي ملكيتها، وخصوصيتها، وسرِّيتها، وأمنها.[1]

إدراك الشباب الصغار، الآن، بفعل أوعية المعلومات الحديثة له أثر على هذه العناصر الأربعة. وإدراك الفتيان والفتيات يتجاوز الاعتراف بأنَّ الكبار قد يكونون أكثر إدراكًا، إذ إنَّ هناك شواهدَ فعليةً، تؤكِّد أنَّ الكبار ممن لم يوفَّقوا في التعامُل مع آلات تقنية المعلومات، متأخِّرون في الحصول على المعلومة، بالمقارنة بأولئك الصغار، الذين لم يمرُّوا بالهيبة (الخوف من التقانة Technophobia)، التي صاحبت التعامُل مع أوعية المعلومات الحديثة. ولأنَّها أوعية حديثة فإنَّ مجال الملكية، والسرِّية، والخصوصية، والأمن للمعلومة، أضحت، كلُّها، مجالاً للتجاوز والاختراق بشكل ملحوظ، مما حدا بالعالَم إلى إعلان بعض المبادئ أو القوانين، ذات العلاقة بالملكية الفكرية، وجعل منظمة التجارة العالمية (WTO) تؤكِّد ذلك، من خلال التوقيع على اتفاقية الملكية الفكرية، ضمن متطلبات الانضمام إلى هذه المنظمة.

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. التجهيزات الأساسية للمعلومات: نظرة عامة. مكتبة الإدارة. ع ٢ مج ١٢ (جمادى الأولى ١٤٠٥هـ/ يناير. فبراير ١٩٨٥م). ص ٢٣. ٣٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كنموذج آخر لهذه الفئة من الشباب، اعتقل فتى في ألمانيا، في عمر المراهقة، اعترف، حال القبض عليه، بالعبث من خلال التعامُل مع المعلومات المصرفية من خلال إقحام فيروس، يؤثِّر عليها إلى حدِّ مسح المعلومات. هذا سطو سافر على كل هذه العناصر الأربعة التي قدَّمها روبرت هيز، قبل خمسٍ وعشرين سنة، ذلك الوقت الذي كان الناس يتحدَّثون فيه عن تفجُّر المعلومات، أو ثورة المعلومات، ومن ثمَّ فإنَّ هذا الجيل القادم ستكون له مع المعلومة نظرة تختلف عن جيل سابق، وإنْ كان الجيل السابق قد تعرَّف على تقنية المعلومات، من خلال البطاقات المثقوبة، والأجهزة الضخمة لحفظ المعلومات وتخزينها، الأمر الذي أصبح في حكم التاريخ والتراث المعلوماتي.

هذا الإدراك في هذا الجيل القادم المتعامل مع المعلومة ليس على اعتبار أنَّها ثروة وطنية فحسب، بل على اعتبار أنَّها جزء من الحياة العامّة، مثلها في ذلك مثل الهواء والضوء، هذا الإدراك يستوجب نظرةً معاصرة للتعامُل مع المعلومة، من حيث سريِّتُها، وملكِّيتُها، وخصوصيِّتُها، وأمنُها، إذ تظل هناك، رغم كل التطوُّرات، حاجةٌ إلى قدر من هذه العناصر الأربعة، لا بدَّ من الإبقاء عليه، على مستوى الأفراد والمجتمعات.

هذا الإدراك من هذا الفتى أوحى بقدر غير قابل للتغافُل في التعامُل مع المعلومة، وضرورة التوكيد على محتوى المعلومة، من حيث المصداقية.

أثار هذه الوقفة سؤالُ هذا الفتى: ماذا لو كان الوضع في مسألة التعذيب في سجن أبو غُرَيْب وغيره والغارات على المدنيِّين عكسيًا، ماذا ستكون ردود أفعال الآخر؟! ولم يكن هذا السؤال، من هذا الفتى، استفهامًا، ولكنَّه سؤال أثار سؤالاً حول مدى إدراك هذا الجيل في التعاطي مع المعلومة.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الحادية عشرة:

العَبَث الخَلْقي

يستمرُّ مسلسل العبث في حياة الإنسان، اليوم، ليصل إلى المساس بالمظهر الخَلْقي. وقد تعارفت الحضارات على أنَّ الزينة بالجواهر والحُلي هي ألصق بالنساء منها بالرجال، وجاءت الأديان السماوية تحرِّم على الرجال صنوفًا من الزينة، هي للنساء حلال. ومن ذلك الأقراط والخروص والخماخم والمجاول والأزمَّة (ما يعلَّق في طرف الأنف)، وغيرها ممَّا قد يكون له مصطلح محلِّي غير قابل للتعميم، من حيث اللفظُ، لا من حيث المفهومُ. ورأينا في بعض الحضارات مبالغات لدى النساء في لبس الحُلي تصل إلى الإنكار الذوقي، لاسميَّا ما يُعلّق في الآذان أو الأنوف أو العضود أو السيقان.

يتسلَّل العبث إلى هذا المفهوم لنجد شبابًا قد تمثَّلوا أمورًا كانت، ولا تزال، من خصوصيات النساء. فهل هذا يعني احتجاجًا من هؤلاء الرجال على دخول بعض النساء في خصوصيات الرجال؟ مما يُعدُّ، بحدِّ ذاته، نوعًا من العبث؟ بل إنَّ العبث في هذا المجال كاد أنْ يشمل الجسم كله، ولم تسلم منه الحواجب والشفاه، مما يدخل في مفهوم تشويه خلق الله تعالى. ربَّما قيل إنَّه نمط من أنماط التعبير

التي سادت مجتمعات، تعاني فراغًا روحيًا، كما كانت عليه الحال في الثمانينات الهجرية، الستينات الميلادية، عندما ظهرت مجموعات من الشباب أطالت شعورها، ولبست الضيِّق، وسلكت سلوكيات هي في ذاتها خارجة عن النمط الاجتماعي السائد.

يتحدَّث الأستاذ **عبدالله الناصر**، الملحق الثقافي السعودي في لندن، في زاويته الأسبوعية بالفصيح في صحيفة الرياض عن فئة من الشباب اليوم: «أولئك الشبَّان الذين لا عملَ لهم، ولا همَّ، ولا جدوى منهم، ولا فائدةَ فيهم إلاَّ أنْ يؤذوا خلق الله دون حياء، أو أدب أو سلوك. تراهم في الشوارع لا همَّ لهم إلاَّ إيذاء الخلق والاستعراض بمظاهر الأبَّهة والصلف واحتقار الآخرين ... وترى البعض منهم هائمين على الأرصفة، قد أسدلوا شعورهم، وفتحوا صدورهم، وارتدوا ألبسة هي أبعد ما تكون عن التناسُب أو الذوق السليم، لهم لغة ذات مصطلحات خاصَّة، وثقافة هابطة خاصَّة، وسلوك أبعد ما يكون عن الإحساس بالمسؤولية وفهم رسالة الحياة، والتعامُل مع الآخر بإنسانية راقية، يسيرون في الأرض مرحًا، وينظرون إلى غيرهم بازدراء واحتقار، وكأنَّ الآخرين ناقصو البشرية والإنسانية».[1]

(١) انظر: عبد الله الناصر. بالفصيح: جنَّة الحمير. الرياض. ع ١٤٠٦٧ (٩/١٢/١٤٢٧هـ - ٢٩/١٢/٢٠٠٦م). ص الأخيرة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قد يُقال إنَّ هذه التصرُّفاتِ أمورٌ شكلية، ولكنها مع شكليتها إلا أنَّها تعبِّر، أولاً، عن مكنون في النفس، قد ننظر إليه نحن على أنَّه مؤشِّر من مؤشِّرات الفراغ الروحي وضعف الاستقرار النفسي والاجتماعي، ثم إنَّه، ثانيًا، مدعاة للتقليد في مجتمعات لا تعاني من الفراغ الروحي، ولديها استقرار نفسي واجتماعي ظاهر، لكن يخرج منها فئة من المقلِّدين والمقلِّدات الذين يرغبون في الخروج عن المألوف، حتى لو ترتَّب على ذلك محظور شرعي، وذلك بفعل ضعف التنبيه على ذلك، وأنَّه ليس ظاهرة، وأنَّه غير مقبول. وهو منكر لا بُدَّ من النهي عنه.

مع هذا كله يكون هناك نوع من التغافُل عنه وعن إنكاره من الجهات المناط بها الإنكار، مما قد يتطوَّر لدى بعض أبناء المجتمع ليروه داخلاً في الحرِّية الشخصية، التي لا ينبغي أنْ تُمسَّ، وما إلى ذلك من النظرات المثالية، التي تعطي الفرد قدرًا من الوعي والشعور بالمسؤولية، وكأنَّه ليس هناك أناس يُسحبون إلى الجنَّة بالسلاسل، ولنتصوَّر هذا المشهد في أذهاننا، حينما نرى أشخاصًا مسلسلين، وهناك من يسحبونهم، ليُدخلوهم إلى الجنَّة، وكأنَّهم غير مدركين نتيجة هذا الإجراء.

إنَّ هناك حالاتٍ من العبث في خلق الله، تأخذ أشكالاً متعدِّدة، ولكنها تخرج عن المفهوم الشرعي للمظهر المطلوب في

الرجال والنساء، وليس في فئة دون أخرى. والمطلوب وقفة توعوية ووعظية وإعلامية وفكرية لبيان هذا النوع من العبث في خلق الله تعالى.

إنَّ العبث بخلق الله لم يقتصر على هذه الأمور الشكلية القابلة للزوال بفعل الزمن، كما زالت تقليعات الثمانينات الهجرية، الستينات الميلادية، بل إنّنا نرى ذلك متبنىً من بعض (النجوم) الذين لهم تأثير على الناشئة الذين يتأثَّرون اليوم، في غالبهم، بالرياضيين والفنَّانين، من مطربين وممثِّلين ومطربات وممثِّلات، الذين ملأوا الجوَّ العام، على حساب من ينبغي التأثُّر بهم من الجادِّين في بناء ذواتهم وأوطانهم. وأتحدَّث هنا ليس على المستوى المحلي، حتى لا يغضب علينا بعض إخواننا الذين قد يتوهَّمون أنَّهم معنيون بهذا الطرح، وفيهم مَن هو بخير وعلى خير، بل إنِّي أتحدَّث على المستوى العالمي، الذي وصل فيه بعضُ النجوم إلى هجرهم أديانهم، إلى ملل ونِحل تعبُد الأوثان، بل ربَّما تحوَّلوا إلى عبادة الشيطان.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الثانية عشرة:

العبث بالثروة

مئتان وخمسة وعشرون مليون ريال خصَّصتها امرأة غنيَّة، في الخامسة والسبعين من عمرها، للعناية بالقردة "كالو" ذات الخمسة عشر ربيعًا، وإخوتها من القردة والكلاب، التي جمعتها هذه السيدة، في مزرعتها، في جنوب إفريقيا، وهي ليست جنوب إفريقية، ولكنها من بقايا رعايا الاحتلال السابق. هذا المبلغ مخصَّص لهذه الحيوانات الأليفة، بعد أنْ تُتوفَّى السيِّدة الغنية. وهي تعيش مع زوجها، لكنَّها تنام مع ستة من صغار القردة في سرير واحد، لأنَّه يتعيَّن عليها إرضاعها في الليل.

يبدو من الخبر أنَّ هذه السيدة الكبيرة لم ترزق، ربَّما بإرادتها، بأولاد، فاهتمَّت بهذه الحيوانات، بديلا عن الأولاد. وتذكر، كما يقول الخبر، أنَّ زوجها يتفهَّم هذه العناية، وإنْ كان لا يحتفظ لهذه الحيوانات بأيِّ ودٍّ أو حنان، رغم أنَّ زوجته الثرية قد تركت له بيتًا من البيوت الثمانية، الموجودة في المزرعة، فيما لو رحلت قبله.

لم يذكر الخبر عن هذا المبلغ (٢٢٥,٠٠٠,٠٠٠) ريال هل هو جلُّ ثروتها، أم أنَّه جزء من ثروتها، وما نسبته من ثروتها. ومهما

يكن من أمر، فالمرأة مصمِّمة على هذا الإجراء. ويبدو أنَّها قد حصلت على الوثائق التي تثبت عزمها على تخصيص هذا المبلغ لهذا الجمع من الحيوانات، وعلى رأسها العزيزة لديها "كالو"، القردة الأليفة.

يمكن للواحد منا أنْ ينطلق في التعليق متوخِّيًا الحكمة، مُظهرًا، عقليًا، عدم القبول بهذا الإجراء، ولكنه لن ينطلق في هذه الحروف القصيرة، لأنَّ التعليق أحيانًا يفسد العبرة من الخبر، ولأنَّ القارئ الذي اطَّلع على هذا الخبر على قدر من الوعي والحصافة، بحيث يغني الوعي عن المزيد من التعليق.

ليس هذا هو الإجراء الأوحد في توريث الحيوانات الأليفة وغير الأليفة، ولم يكن الأوَّل، ولن يكون الأخير. وفي قارَّة يوجد فيها قدرُ هذا المبلغ من بني آدم، هم دون الحدِّ الأدنى من الفقر، يمكن لهذا المبلغ أنْ يفعل معهم فعائل، قد ترقى بهم إلى درجة واحدة، على الأقل، فوق الحدِّ الأدنى من خطِّ الفقر. الخبر لم يقل إنَّ هذه المرأة الغنية قد دفعت ضعف هذا المبلغ، أو قدره، للعناية ببني آدم، من القارَّة الأفريقية، أو غيرها من القارَّات.

عندما يتحدَّث المرء عن الخصوصية لبعض المجتمعات فإنَّه يعني، مما يعنيه، أنَّ هذا الفعل لا يحدث في مجتمع له خصوصيته في فهم الحياة، والتعامُل معها، والتعامُل مع الأحياء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والجمادات فيها. وترى هذه الخصوصية المنتمية أنَّ في هذا الإجراء من هذه السيدة ومثيلاتها وأمثالها إنَّما هو خلل في الموازين والأولويات، يؤدِّي إلى نتائج لا تعود على البشرية بخير.

إذا كان هذا الخبر يستحقُّ النشر لما فيه من غرابة، فهناك وجوه كثيرة ينفق عليها الموسرون على حساب احتياجات لبني جنسهم، ولكنَّهم يتردَّدون كثيرًا، عندما يطلب منهم مباشرة، أو بطريق غير مباشر توجيه شيء من الخير الذي اؤتمنوا عليه إلى مصارفَ كفيلة - بإذن الله تعالى - أنْ تزيد من هذا الخير لديهم، تراهم يتردَّدون كثيرًا، بسبب من هذا الخلل في الموازين.

نحن، هنا، نتشبَّث بالخصوصية القائمة على مبادئ ثابتة في فهم الحياة، وتدعو هذا الوقفة إلى المزيد من التشبُّث في هذا التوجُّه، الذي نراه نحن متعقِّلا، وإنْ رآه غيرنا متحفِّظًا.[1]

☆ ☆ ☆

(١) انظر في مناقشة مفهوم الخصوصية: علي بن إبراهيم النملة. **السعوديون والخصوصية الدافعة: الإصرار على التميُّز في زمن العولمة** - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م - ٢٨٥ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الثالثة عشرة:

العبث بالمركبة

نعمةٌ من نعم الله تعالى على خلقه هي نعمة الطمأنينة والاستقرار. وهي مسؤولية مشتركة بين الدولة ومواطنيها، والمقيمين فيها. الدولة تسعى، ومواطنوها يتجاوبون. هي تبحث عن السبل الكفيلة بتحقيق الاستقرار في النفوس، والمواطنون والمقيمون يدركون هذا السعي، ويتفاعلون معه إيجابًا. ونعمة من نعم الله تعالى على خلقه هي نعمة المواصلات، التي مرَّت بمراحل عديدة معروفة، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم، حيث يتدخَّل عامل السرعة في الوصول إلى النقطة المراد الوصول إليها، سخَّرها الله تعالى لعباده، وما كانوا لها مُقرنين.

السيارة نعمة، هكذا ننظر إليها. هي وسيلة نقل مريحة وسريعة في زمن السرعة، وإنما وُجِدت لذلك، وليس لغير ذلك، وأيُّ شيء خلاف ذلك هو من العبث، ومن العبث ما قتل!

النفوس غالية، صعبٌ أن يقتلَها العبث، ومن أودَى بنفسه إلى التهلُكة فحريٌّ به ألا يودِي بالآخرين من حوله إلى التهلُكة.

والسيارة/الوسيلة عندما يُساء استخدامها لا تفرِّق بين من أودَى بنفسه، ومن أُودي به إلى التهلُكة.

مع الحفاظ على هذه النعمة التي تغبطنا عليها الأمم السابقة، لو علمت بما وصلنا إليه، وربَّما تغبطنا عليه الأمم اللاحقة، عندما تعلم بما وصلنا إليه، فإنه من الملائم جدًا تشديد العقوبة على من يسيء استخدام هذه النعمة، بالحرمان الوقتي منها، لا من ركوبها، فهذا غير وارد، ولكنه يحرم من قيادتها، باستخدام أسلوب النقاط، التي تعطى على كلِّ مخالفة، بحيث إذا وصلت إلى الحدِّ الأعلى عُلِّقت رخصة القيادة لمدَّة كافية للاعتبار. مع تشديد العقوبة في التغريم بالمال، والذي لا يملك المال ليغرَم، لا يخالف ليغرَم. والذي يملك المال ليس من حقِّه أنْ يخالف، ولو قدر على دفع الغرامة.

إنَّه ربَّما كان من جَحْد النعمة إساءةُ استخدامِها، ويكفي أنْ يتصوَّر الواحد منا أنْ يحرم من هذه النعمة، قيادة وركوبًا، ماذا ستكون الحال عليه؟

إنَّ علماءنا الأفاضل قد تفاعلوا مع هذه النعمة، وأعطوها حقَّها من التقدير، على أنَّها وسيلة، سخَّرها الله لعباده، وهم يؤثِّمون من يفرِّط في استخدامها، من حيث النزوعُ إلى السرعة، أو مخالفةُ أنظمة السير، التي سنَّتها نظم السير في الدولة، فيما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تتماشى حكمته مع أحكام الشريعة الإسلامية، وليس في نظام المرور ما يخالف الشرع، بل إنَّه مطلب شرعي، قبل أنْ يكون مطلبًا مدنيًا. ولذلك نجد أنَّ الشرع، والقوانين الأخرى، يجرِّم القاتل بالسير، بحسب الحالة التي حصل بها القتل، على ما هو معلوم لدى الفقهاء والفقهاء القضاة.

إنَّه لمن شكر النعمة هذه، وهي من نعم الله تعالى التي لا تُحصى، أنْ نخدمها كما هي تخدمنا، وأنْ نستخدمها الاستخدام الذي صنعت من أجله، وأنْ نسعى إلى الابتعاد عن أي مؤثِّر يحرفها عن طبيعتها التي صنعت لها.

فلا معنى لسباقات السيارات القاتلة، ولا معنى للأفلام التي تجعل من المطاردات في الشوارع عادةً لها. ولا معنى للأشرطة الكرتونية الموجَّهة للأطفال والشبَّان، التي تجعل من المتسابقين أبطالا كالفاتحين. ولا معنى، كذلك لترك، السيارة دون تفقُّد دوري رسمي مؤهَّل (الفحص)، يكفُل سلامتها في سيرها، وقدرتها على أداء وظيفتها.

لا معنى، أبدًا، للإخلال بأيِّ متطلَّب من متطلَّبات السلامة فيها، مما يحقِّق، في النهاية، الاستقرارَ لدى الناس، ويشعرهم بمتعة القيادة وركوب السيارة داخل المدينة وخارجها، بدلا من أنْ

يتحوَّل ذلك كله إلى حالة من الاستنفار للذهن، والنظر، والأعصاب؛ توخِّيًا للسلامة، واتِّخاذًا لأسبابها. وفوق ذلك كلِّه توفيق الله تعالى، المقرون بفعل الأسباب، التي هي من متطلَّبات شكر هذه النعمة، التي نحن بأمسِّ الحاجة إلى إدراكها.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الرابعة عشرة:

العبث بالسلاح

جرت عادات بعض المجتمعات الصغيرة، المبنيَّة على أسس قبليَّة، أنْ يحمل أبناؤها السلاح، بأيِّ شكل من أشكاله. ولا تزال بعض المجتمعات ترى أنَّه من الوجاهة أنْ يحمل المرء فيها خِنجرًا، قيمته تصل إلى مئات الآلاف من الريالات. وبعضٌ آخر منها يحمل أفرادُها مسدَّسًا يسير فيه، ويتأكَّد هذا في المناسبات.

كان هذا شائعًا، في وقت كان الأمن فيه متخلخلا، فاحتاج الأبناء إلى حماية أنفسهم بحمل السلاح. أمَا وقد تكفَّلت الدولة بحماية المواطنين والمقيمين فيها على حدٍّ سواء، فإنَّ هذه العادة أو التقليد لم يبقَ له مسوِّغٌ بحال. ومن كفالة الدولة للحماية الأمنية ضُبطت أمور اقتناء السلاح وحمله.[1]

يظهر علينا بين الفينة والأخرى خبر مقتل أحد الأبرياء، بسبب التعامُل مع السلاح، إمَّا بالتنظيف، أو بالتفقُّد، أو بالمزاح بين الأصدقاء. ولعل هذا الإجراء الذي يقوم به بعض من يقتنون

(١) انظر: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. **الأمن في حياة الناس وأهميَّته في الإسلام**- الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م- ١٣٣ ص.

السلاح يدخل في مفهوم أنْ يُلقي الإنسان بنفسه إلى التهلُكة، التي ينهى عنها الشرع الحكيم بالآية الكريمة الصريحة: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة ١٩٥).

ربَّما يتساوى هذا الإجراء مع أولئك الذين يتهوَّرون في قيادة السيارات، فيقعون في حوادثَ مميتة لهم، وللعابرين الأبرياء الآخرين، راكبين أو راجلين. فهل من الممكن اتِّخاذ أيِّ ضابط، أو تنظيم، أو توجيه، أو أيِّ إجراء توعوي، يحدُّ من هذه الحوادث المؤسفة، حتى لأولئك الذين يسمح لهم النظام باقتناء السلاح أو حمله، بحكم أنَّ طبيعة عملهم تسمح بحملِ السلاح، مثل رجال الأمن أنفسهم، مع الأخذ بالحسبان الحذر الذاتي المطلوب؟

إنَّه لمن المؤلم أنْ تذهب الأرواح نتيجة العبث بالنار المهلكة، بأيِّ شكل من أشكال العبث، وأنْ تمتدَّ هذه المصيبة للأهل والأولاد، فتثكل الأمَّهات، وتترمَّل الزوجات، ويتيتَّم الأولاد. كل هذا نتيجة لقدْر من التهاون. وكلُّ شيء، على أيِّ حال، بقدر الله تعالى، ولا تعارُض مع هذا الاعتقاد، وإيجاد السبل والوسائل التي تُقلِّص من هذه الحالات المفجعة.

أُهيب بخطباء الجوامع، وكُتَّاب الصحافة، وفرسان الفضائيات، أنْ يولوا هذه الحالات اهتمامًا تستحقِّه، ويُزاد من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاهتمام في أماكن دون أخرى. فالتوعية مطلوبة من الخطباء والكُتَّاب، كما هي مطلوبة من القنوات الأخرى المؤثِّرة في المجتمع، سعيًا إلى التقليص من هذا التقليد الاجتماعي، الذي تضاءلت الحاجة إليه، بحكم مسؤولية الدولة في توفير الأمن.[1]

☆ ☆ ☆

(١) تنصُّ المادَّة السادسة والثلاثون من نظام الحكم الأساسي، في المملكة العربية السعودية، على الآتي: «توفِّر الدولة الأمن لجميع مواطنيها والمقيمين على إقليمها، ولا يجوز تقييد تصرُّفات أحد، أو توقيفه، أو حبسه، إلا بموجب أحكام النظام». وتماثلها في المفهوم موادٌّ في الدساتير الحديثة للدول.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الخامسة عشرة:

العبث بالفُرَص

يا ما جنى العنادُ على الناس، ويا ما تصدَّعت بيوت، بعد أنْ قطعت شوطًا بعيدًا في البناء، كان ثمرتها بنين وبنات. لكن يحصل موقف تعانَدَ عليه الطرفان، فكان الفراق. ويا ما فقد شخص فرصةً ذهبية، سنحت له في عمله، أو في تجارته، فعاند فيها، فودَّعته الفرصة، غير آسفة على وداعه، والفُرَص لا تتكرَّر.

أعرف زميلاً كان، ولا يزال، طاقةً فاعلة، كان موهوبًا، وكان من الممكن أنْ يتسلَّم مواقعَ مهمَّةً علميًا، ثم إداريًا. تعاند في بداية مشواره العلمي والعملي مع رئيسه المباشر، وركب رأسَه، ووضع نفسه في صفِّ رئيسه، بل ربَّما أنَّه رأى في نفسه أكثر من رئيسه، فأعطى ذاته مكانة أكثر مما هو واقعها. وكانت نتيجتها أنْ انتقل من هذه المنشأة العلمية إلى منشأة إدارية فنية، بعد أنْ تبيَّن ألاَّ مقام له فيها، ففقد فرصة الترقِّي العلمي، الذي قلَّ أنْ يناله إلا الموهوبون.

لكنَّ زميلي هذا كانت له وجهة نظر أخرى، أطاحت به من هذا المجال العلمي، فذهب يبحث عن مجال آخر، وكأنه يمنُّ على

تلك المؤسسة العلمية الفرعية، بما لديه من طاقات علمية وثقافية وفكرية. وكان، ولا يزال، لديه طاقات علمية وثقافية وفكرية. صاحبي هذا الذي ألْتُ له كثيرًا، وألْت لموقفه، وكأنَّه يتمثَّل قولَ الشاعر العربي:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَىً أَضَاعُوا

لِيَومٍ كَرِيهَةٍ وَسَدَادِ ثَغْرِ

الواقع أنَّ هذه المنشأة التعليمية لم تفقد صاحبي؛ لأنَّها أحلَّت محلَّه من هو في مستواه، أو ربما فوق مستواه، علمًا وخُلُقًا، و"مشى أمرُها"، ولم تأسف على خروجه منها، ولم يتمثَّل هو بعد ذلك بقول الشاعر العربي الآخر:

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمُ

وَفِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يُفتَقَدُ البَدْرُ

لم تكن لهذه المنشأة، في هذا المساق ليلةٌ ظلماءُ، بل إنَّ لياليها كانت تغصُّ بالبدور، وهجها متفاوت، ولكنها مجتمعة تضيء سماء المنشأة. إنَّه العناد الذي أفقد صاحبي فرصة لا تعوَّض.

على أيِّ حال، ضربتُ مثلا بصاحبي هذا، الذي تنقَّل بعد ذلك إلى أكثر من جهة، كان قلقًا في جميعها، مجابهًا رؤساءه في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جميعها، مصادمًا لهم، متمسِّكًا برأيه دائمًا، ففوَّت على نفسه فرصًا تُعزى إلى إصراره على العناد.

هناك أمثلة أخرى، ومواقف متعدِّدة، تُثبت، على المستويات كافَّة، أنَّ الأمور تتفاقم وتصل إلى حدود صعبة جدًّا، بسبب عناد بين الطرفين أو أكثر. وسيظل العناد، كما الغرور، صخرةً تتحطَّم عليها مشروعات قائمة، وآمال وطموحات، وسيظل العناد، كما الغرور، سببًا من أسباب الشقاء، على المستوى الفردي والأسْري، وأبعد من ذلك من المستويات. والسعيد منَّا من لم يتَّصف بالعناد، ومن لا يلقي له بالاً كثيرًا، بل ويُكثر من التروِّي وإبداء بعض التنازُلات التي، دائمًا، تعود بالمصلحة على الأطراف المعنية وتحقِّق المراد، ولو على المدى البعيد.

لا يتَّفق العناد مع التنازُلات، ولا تتمُّ جميع الأمور على الوجه المراد لها إلا بالتنازُلات من الطرفين، لا من طرف واحد فقط، إذ يلتقيان، أو يلتقون في منتصف الطريق. ولعلَّ في صلح الحديبية من العبر والدروس ما يغني عن المزيد من إيضاح الفرق بين العناد ونقيضه؛ إذ إنَّ التنازُلات التي أبداها رسول الهدى ﷺ كانت ممهِّدةً لنصر من الله تعالى وفتح قريب، رغم أنَّ بعض الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا "مرتاحين" للوهلة الأولى من هذه التنازُلات.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة السادسة عشرة:

العبث بالزمن

صدر كتابٌ يحمل عنوان: **حمَّى سنة ٢٠٠٠** لمؤلِّفه **عبدالعزيز مصطفى**، من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك سعود بالرياض.(١) والكتاب في صفحاته، التي تعدَّت المئتين وخمسين صفحة، هو تحليل عميق، بأسلوب رقيق، للخلفيات الدينية لهذا التأريخ، لاسِيَّما الجانب اليهودي الذي كان يخطِّط لعام ٢٠٠٠م من مدَّة ليست قصيرة، بدأت مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، الثالث عشر الهجري، واستمرَّت طيلة القرن العشرين الميلادي، الرابع عشر الهجري.(٢) بدأت بتوقُّعات **تيودور هرتزل** سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م، وانتهت بقيام كيان وطن قومي لليهود في **فلسطين** المحتلَّة سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨.

الكتاب جولة تاريخية موثَّقة بالمحاولات الجادَّة لقيام هذا الكيان، رغم التحوُّل في الحكم بين حزبين رئيسيين، في الدولة

---

(١) عبدالعزيز مصطفى. حمَّى سنة ٢٠٠٠ ـ لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٧م ـ ٢٦٢ ص.

(٢) أحمد يونس. **المسلمون الأمريكيون: أقسم بالله أن أقول الحقَّ**/ ترجمة نشأت جعفر ـ القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ـ ٦٤ ص.

العبرية، بين العمل والليكود، ثمَّ حزب ثالث هو خليط بين الحزبين، التقيا لمصلحة الكيان.

برهن الكتاب حتى الصفحة المئة والثمانين، أنَّ الحزبين يختلفان في الأساليب والوسائل، ويتَّفقان في الأهداف، وهي تحقيق قيام دولة قوية، تمتدُّ من الفرات إلى النيل، استجابةً لما تمليه التوراة بأسفارها المختلفة، والتلمود، من مسؤولية اليهود في كل مكان وزمان، في إقامة هذا الكيان.

يعرِّج الكتاب على تمكين اليهود من الحصول على دعم بعض النصارى، لاسيَّما البروتستانت منهم، لقيام الدولة اليهودية على أرض فلسطين المحتلَّة، رغم ما تلقاه الأماكن المقدَّسة لدى النصارى من تدنيس وتحدٍّ من اليهود أنفسهم، ولذا فلا غرابةَ أنْ تجد هذه المعاملة معارضاتٍ من نصارى فلسطين المحتلَّة، وبعض النصارى الآخرين، الذين لا يتبنَّون البروتستانتية، التي يلمِّح الكتاب إلى أنَّ نشأتها إنَّما قامت من أجل اليهود.[1] ويؤكِّده محمَّد جلاء إدريس، في كتابه: العلاقات الحضارية.[2]

(١) انظر في ذلك: خليل حسن جابر. بنو إسرائيل والإفساد الأول والثاني والثالث ونهايتهم على أيدي أصحاب مملكة المسلمين الأبدية ـ ط ٢ ـ بيروت: دار المحجَّة البيضاء، ٢٠٠٣م ـ ص ٨٥ ـ ٩٠.

(٢) انظر: محمد جلاء إدريس. العلاقات الحضارية ـ دمشق: دار القلم، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ـ ص ٥٠ ـ ٥٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يعالج الكتاب مسألة إقامة أو إعادة بناء هيكل سليمان الذي يزعم اليهود أنه تحت المسجد الأقصى، ويبيِّن الاستعدادات العلمية في تجهيز الحجارة والمجسَّمات الذهبية، خارج الحدود، ونقلها وإخفائها في الصحراء الجنوبية لأرض فلسطين المحتلَّة (صحراء النقب)، ومن ثمَّ الإكثار من الحفريات والأنفاق، والتضييق على المسلمين في دخول المسجد الأقصى.(١) وممارسات عدَّة، نتابعها يوميًا في الأخبار العربية والعالمية.(٢) ولعلَّ من آخرها ما تردَّد في الإعلام اليهودي نفسه من احتمال قيام بعض المتطرِّفين اليهود، في فلسطين المحتلَّة، بالهجوم الجوِّي، ربَّما بطائرة دون طيَّار، على المسجد الأقصى، وقبَّة الصخرة.

مع أنَّ الكتاب، حمَّى سنة ٢٠٠٠، قد ركَّز على جهود اليهود في توطيد مُقامِهم في فلسطين المحتلَّة، بحيث أصبح الأمر كأنه واقعٌ وحقيقة، اعترف بها كثير من العرب والمسلمين، إلا أنه لم يركِّز كثيرًا على البعد الديني النصراني لعام ٢٠٠٠ ميلادية، لاسيَّما فيما يتعلَّق بالتنصير، الذي يعتقد بعض الناس أنَّه قد خَفَت، ومصيره إلى الزوال، بينما نجد أنَّ الجزء الشرقي من

(١) انظر: عبدالعزيز مصطفى. حمى سنة ٢٠٠٠ ـ مرجع سابق ـ ٢٦٢ ص.

(٢) انظر: عبدالعزيز مصطفى. حمى سنة ٢٠٠٠ ـ المرجع السابق ـ ٢٦٢ ص.

تيمور في إندونيسيا إنَّما هو نتيجة لخطَّة قامت، مؤدَّاها السعي إلى تنصير إندونيسيا كلها مع حلول عام ٢٠٠٠ ميلادية، ١٤٢٠هـ.

إنْ لم يتحقَّق الهدف كلُّه، لمناعة المسلمين بعقيدتهم الصافية، فقد تحقَّق جزء منه، وما لا يدرك جُلُّه لا يترك كُلُّه. وها نحن نسمع عن الرغبات المتكرِّرة للاستقلال، أو لإقامة الحكم الذاتي في مقاطعات أخرى، من هذه البلاد التي تؤوي أكثر المسلمين فيها. والمعلوم أنَّ هذه الرغبة كانت لدى **البابا** الراحل في **الفاتيكان** منذ مدَّة.

يأتي هذا الصوت الخافت، غير المقبول لدى بعض المنبهرين بنهاية قرن، وحلول قرن آخر من الزمان، وما يتبع ذلك من تحوُّلات في الاقتصاد والسياسة والمجتمع، إذ إنَّ الناس، الآن، مشغولون بترديد عبارات، أضحت مألوفةً، حول دخول العالم الألفيةَ الثالثة.

يأتي هذا الصوت الذي يذكِّر بضرورة التأنِّي، وعدم الانسياق لهذا الطرح الإعلامي، المنقول، حرفيًّا، من جهات يهمُّها أنْ ينتقل العالم إلى العناية بهذا التاريخ، ولو على حساب أصالتهم وتاريخهم وتراثهم، وبالتالي معتقداتهم ومُثُلهم التي ساروا عليها مئات السنين. وبالتالي الإقرار بأنَّنا نعيش في قرية كونية، تساوت فيها المُثُل والمبادئ والمعتقدات، الأمر الذي لا يبدو أنَّه حاصل، ولن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يحصل، فلم يحصل من قبل، رغم اختلاف السبل والوسائل، ورغم صعوبة السير ضدَّ التيار.

لا ننسى أنَّ هناك اختلافًا بين النصارى أنفسهم في التاريخ نفسه، إذ إنَّ ميلاد المسيح **عيسى بن مريم** - عليهما السلام - عند المحقِّقين من المؤرِّخين سبق التأريخ له بأربع سنين. وتختلف الكنائس الشرقية عن الغربية في يوم الميلاد نفسه، ولكن هذا كله لن يغيِّر من الأمر شيئًا. فقد اتَّجه الناس إلى الاحتفال بحلول عام (٢٠٠٠م) بوعي عند بعضهم، ودون وعي عند كثير منهم.

ذكرت في موقع آخر، من كتاب: **الالتفاف على الاستشراق**[١] أنَّه ساد وهمٌ بين بعض أتباع الكنيسة أنَّه «خلال عام ١٩٩٩م، وفي منتصفه، ستقع أحداثٌ كونية كبرى، ستهزُّ البشرية كلها، من خلال انفجارات نووية، أو سقوط نيازك، مما سيؤدِّي إلى القضاء على ثلاثة أرباع الحياة البشرية. وتجسَّد هذا الهاجس حول نهاية العالم الفعلية، بصورة متطرِّفة جدًّا، من خلال ما وقع في يوغندة يوم الجمعة ١١/ ١٢/ ١٤٢٠هـ الموافق ١٧/ ٣/ ٢٠٠٠م، حيث قامت طائفة من طوائف المسيحيين «بتفجير الكنيسة وإحراقها، في انتحار جماعي، وصل عدد ضحاياه إلى ٥٣٠ قتيلاً، بما فيهم

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. **الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصُّل من المصطلح**. - الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م- ١٨٢ ص.

٧٨ طفلاً. وكان من بين المنتحرين زعيم الطائفة الكنسية كيبويتر واثنان من معاونيه».[١]

الذين يحتفلون بوعي لخلفية التاريخ يحيون حلول الألفية الثالثة في بيت لحم في فلسطين المحتلَّة، ويجتمع فيها ملايين من المحتفلين، قيل إنَّهم مليون ونصف، وقيل إنَّهم وصلوا إلى ستة ملايين نسمة، ويقودهم البابا، ومعه بعض رؤساء الدول الأوربية والأمريكية، بمن فيهم الرئيس الروسي السابق بوريس يلتسن، الذي ينطلق من خلفية شيوعية، بدأت تضمحلُّ، وتحلُّ الديانات السابقة عليها محلَّها، في المجتمع الروسي الأرثوذكسي والمسلم واليهودي.

الكتاب، حمَّى سنة ٢٠٠٠، جديرٌ بالقراءة والتأمُّل، لأنَّه سعى إلى تأصيل مسألة الانتقال من ألف ميلادية إلى ألف ميلادية أخرى.[٢] وقد غاص في خلفية التاريخ هذا، وحلَّل الموقف اليهودي والنصراني من وراء ترقُّب حلول عام ٢٠٠٠ ميلادية. وهو مليء بالحقائق الموثَّقة، ويدلُّ على قدرة على التتبُّع والتحليل، وإنْ بدت عليه بعض الهنات في الصياغة واللغة، والرغبة في السرعة في إخراج الكتاب، قبل حلول عام ٢٠٠٠م.

---

(١) انظر: إلياس بلكا. عقائد «نهاية العالم» في الفكر الغربي. التسامُح. ع ٨ (خريف ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. ص ٢٥٣ - ٢٦٠. والنصُّ من ص ٢٥٨.

(٢) انظر: عبدالعزيز مصطفى. حمى سنة ٢٠٠٠. مرجع سابق. ٢٦٢ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قد يرى بعض القرَّاء فيه نزوعًا إلى التوثيق الإعلامي. ولكنَّنا هنا لسنا نقوِّم الكتاب بمناقشة علمية بحتة، إلا أنَّ الكتاب إضافةٌ طيِّبةٌ مؤصَّلةٌ في النظر إلى حلول ما يسمُّونه الآن بالألفية الثالثة، في خضم الإنتاج الفكري التابع لهذا الهلع، الذي كاد يصيب كثيرًا من الناس قبل حلول العام الجديد.

هنا إشارة صغيرة جدًا لم يتوقَّف الكتاب عندها كثيرًا، ولكني رغبت في ذكرها، وكنت سأذكرها، قبل أن أصل إليها في الكتاب، فكان الوصول إليها مؤكِّدًا على ذكرها. وهي أنَّ سنة ٢٠٠٠ ميلادية هي السنة المكمِّلة للألف الثانية، وليست هي بداية الألف الثالثة الميلادية، فالألف الثالثة الميلادية تبدأ سنة ٢٠٠١م. وقد سبق التطرُّق لهذا المفهوم عندما حلَّ علينا نحن المسلمين القرن الخامس عشر، وتعرَّضتُ له في وقفة في حينها، ولكنَّه لم يغيِّر من الأمر شيئًا.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة السابعة عشرة:

العبث بتقنية المعلومات

ممَّا يؤيِّد الانجراف نحو الألفية الميلادية الثالثة، بدءًا بعام ٢٠٠٠م، نُظُم الحاسب الآلي وبرامجه التي كلَّفت العالم، كما يقول صاحب كتاب حمَّى سنة ٢٠٠٠، أكثر من ست مئة وخمسة وخمسين مليار (٦٥٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار، وأن الولايات المتحدة نفسها قد خسرت مئتين وستة وسبعين مليار (٢٧٦,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار في سبيل تطويع البرامج للرقم الجديد، في التاريخ الميلادي المعتمد في الحاسوبات. وقد تكون هذه المبالغ مبالغًا فيها، إذ إنَّها مبالغُ ليست باليسيرة. ولكنَّها ذُكرت على أيِّ حال في الصحف والدوريات.

بدأ الناس، هناك، يصابون بالهلع الذي قد يصل إلى حدِّ قتل النفس، التي حرَّم الله إلا بالحقِّ، ناهيك عن الأمراض النفسية، والمشكلات الاجتماعية، ذلك أنَّ حلول الألفية الثالثة يحمل اعتقادًا لدى المتديِّنين، من اليهود والنصارى على حدٍّ سواء، بأنَّها نهاية العالم،[1] ونزول المسيح عيسى بن مريم - عليهما السلام -

(١) انظر في نهاية التاريخ: فرانسيس فوكوياما. نهاية الإنسان: عواقب الثورة البيوتكنولوجية/ =

الذي يعتقد النصارى بعودته، وكذلك اليهود، والمسلمون أيضًا، ولكن لكل اعتقاد من الثلاثة وجهته.[١]

أمَّا نحن المسلمين فإنَّنا نعتقد أنَّ عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ سينزل، ويملأ الأرض عدلاً، بعد أنْ تمتلئَ جورًا،[٢] ولكننا لا نملك تحديد ذلك بالسنة، أو العقد من السنين، أو القرن، فإنَّ ذلك يظلُّ في علم الغيب،[٣] مع أنَّ لدينا علامات تُفضي إلى ذلك، هي داخلة في علامات الساعة الكبرى، وقبلها علاماتها الصغرى.[٤] وفي الوقت ذاته تستمرُّ عمارة الأرض، والاستخلاف عليها، وتستمرُّ الجهود في بيان الحقِّ، والدعوة إلى اتِّباعه.[٥]

= ترجمة أحمد مستجير ـ القاهرة: سطور، ٢٠٠٢م.. ٣٠٤ ص. وفرانسيس فوكوياما. نهاية التاريخ/ ترجمة حسين الشيخ ـ بيروت: دار العلوم العربية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ـ ٢٨٠ ص. وجان ـ ماري جيهينو. **نهاية الديموقراطية**/ ترجمة حليم طوسون ـ القاهرة: مكتبة الشروق، ١٩٩٥م ـ ١٢٠ ص.

(١) صبري أحمد موسى. نبوءات **نهاية العالم بين الأديان السماوية والواقع العلمي المعاصر: دراسة دينية مقارنة في اليهودية والمسيحية والعقيدة الإسلامية** ـ القاهرة: دار البشير، ١٩٩٨م ـ ٢٤٠ ص.

(٢) انظر: علي سكيف. **نهاية التاريخ في الفكر الإسلامي الحديث**ـ دمشق: الأوائل، ٢٠٠٤م ـ ٢٧٧ ص.

(٣) انظر: مصطفى مراد. **نهاية العالم**ـ القاهرة: دار الفجر للتراث، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ـ ٣١٢ ص.

(٤) انظر: منصور عبدالحكيم. **نهاية العالم وأشراط الساعة**ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م ـ ٢٦٢ ص.

(٥) انظر: مراد هوفمان. **الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود** ـ القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م ـ ٢٧٦ ص.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا من ناحية دينية، أمَّا من الناحية الحاسوبية، فكان هناك هلعٌ على مستوى عالٍ في العالم، خوفًا من عدم قدرة الآلية التي يسيِّرها الحاسوب على التأقلُم مع الرقم الجديد. وهذا موضوع مطروق عالميًا، لا مجال للتوسُّع فيه.

لم تسلم من هذا الهلع تحرُّكات الناس، ليلة الواحد من يناير لسنة ٢٠٠٠م، بما في ذلك السفر جوًا، إذ كان هناك تخوُّف من تعطُّل المركبات لحظة الانتقال من سنة إلى أخرى، أو، كما زعموا، من قرن إلى آخر. وكانت هناك نصائح تُسدى للمسافرين بتجنُّب أنْ يكونوا على سفرٍ تلك اللحظات!

تأتي هذه الخواطر امتدادًا لهمٍّ يقضي باحتمالية نهاية العالم عند الانتهاء من الألفية الميلادية الثانية.[1] إلا أنَّنا لا ندع هذا مجالا للاجتهادات الشخصية، غير المبنية على العلم الشرعي، المشتقِّ من نصوص الكتاب والسنة، ونهجر الإسرائيليات من الأخبار، التي وقع فيها بعض من المفسِّرين، وتبعهم فيها بعض المؤرِّخين، رصدًا لها في كتب التفسير والتاريخ، لا إيمانًا بها.

(١) انظر في تقويم القرن الميلادي الماضي، والتطلُّع لقرن جديد: القرن العشرون بين اليأس والأمل- ص ١٢٧ - ١٦٧.

في: شريف الشوباشي. نهاية التفكير- القاهرة: الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ٢٠٠١م- ١٨٤ ص- (سلسلة مكتبة الأسرة).

عليه، فإنَّه مما يستحقُّ الإعجاب قول أحد المعنيين أنَّ الخروج من قرن والدخول في قرن آخر إنما هو، تمامًا، مثل الخروج من يوم والدخول في يوم آخر جديد. إلا أنَّ الخروج من قرن إلى آخر إنَّما يتحقَّق في ذلك اليوم الأخير من السنة الميلادية ٢٠٠٠م، المكمِّلة للألفية الثانية، إلى اليوم الجديد ٢٠٠١م، وهي انطلاقة الألفية الثالثة، بمعنى أنَّنا لا نرى أنَّ هناك تغيُّرًا في نواميس الكون، سيطرأ في تلك الساعات.

لن يتحوَّل العالم من حال سابقة إلى حال لاحقة مختلفة، تمامًا وجذريًا، عن الحال التي كانوا عليها قبل يوم واحد. وإنما هو الإعلام، وبعض الطروحات الفكرية التي انقادت إلى الخلفية الدينية لهذا التحوُّل، تلك الخلفية الدينية المبنيَّة على معلومات غير موثَّقة في الديانتين اليهودية والنصرانية/المسيحية، بفعل التحريف الذي طرأ عليهما، من قبل إنْ ينزَّل القرآن الكريم على نبينا محمَّد بن عبدالله (، ولا يزال يطرأ عليهما إلى يومنا هذا، على اختلاف في مدى التحريف، فلِمَ ننساقُ إلى هذا كله، ما دام أنَّ الأمر قد مرَّ كما تمرُّ الأيام والليالي؟ وما عدا ذلك فهو من باب التصنُّع، ليس إلا.

من الصعب الإقناع بهذه الفكرة لغير المسلمين، وربَّما اقتنع غيرهم معهم، ممن لا يدينون باليهودية والنصرانية/المسيحية،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلا يكون للانتقال عندهم خلفيةٌ ثقافيةٌ، إلا أنَّ هؤلاء أقربُ إلى الاقتناع؛ لقربهم من الخرافة.

المرجو، في هذا الموقف، أن تكون نظرتنا لهذا الزَّخم كلِّه منطلقةً من عقيدة صافية، تدرك تداول الأيام بين الناس، وأنَّ الوقت يمضي، بسنينه وعقوده وقرونه، كما مضى من قبل مولد المسيح عيسى بن مريم - عليهما السلام - ومن بعد مولده عليه السلام. وأن سُنَّة الله تعالى في الكون ماضيةٌ في أنْ يكون لهذه الحياة نهاية، تكون بعدها حياة أخرى، لها طابع آخر مختلف، تمامًا، عما نحن عليه الآن، إذ إنَّها ستكون حياةً نجني بها ما عملناه في هذه الدنيا، إنْ خيرًا فخيرًا، وإنْ شرًا فشرًا. ورحمة الله واسعة، وفضله عظيم.

فيما عدا هذا الهلع المبني على التغيير الرقمي للحاسوبات، الذي ينبغي علينا أخذ حسابه، فإنَّنا مؤمنون بأنَّ الانتقال يمرُّ - بإذن الله تعالى - بسلام، لا اختلافَ ولا تغيير، إلا فيما يجنيه المرء في يومه السابق، وما ينوي أنْ يعمله في يومه اللاحق، وهكذا كان: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران ١٤٠).

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة الثامنة عشرة:

العبث بالديمُقراطية

يتنازع الولايات المتحدِّة الأمريكية حزبان متناقضان في النظرة إلى القضايا الاجتماعية، في الداخل والخارج. فالحزب الجمهوري أقرب إلى العقل في هذه النظرة، والحزب الديمقراطي أقرب إلى العاطفة، في النظرة إليها، أو هكذا يبدو. والذي يريد تعبيرًا علميًا قد يقول: إنَّ الحزب الديمقراطي أقرب إلى التحرُّرية في النظرة إلى القضايا الاجتماعية. والذي يريد تعبيرًا هجوميًا قد يقول: إنَّ الحزب الديمقراطي هو أقرب من الحزب الجمهوري إلى الإباحية، في النظرة إلى القضايا الاجتماعية.

فالحزب الديموقراطي، مثلاً، لا يقف في وجه الشذوذ الجنسي، بين الرجال من جهة، وبين النساء من جهة، ويعدُّ ذلك من الحرِّيات الشخصية، بحيث لم يعُدْ يعبَّر عنه بأنه شذوذ، بل إنه الحياة بين المثلين! وهو لا يقف في وجه رغبة المرأة/أو الفتاة في التخلُّص من الجنين بالإجهاض، إذا كانت لا ترغب فيه، ولكنه يريد السعي إلى تنظيم هذه العملية، بحيث تمارَس في جوٍّ

حضاري صحِّي. وهو كذلك لا يعارض عيش الرجل مع المرأة تحت سقف واحد، دون أنْ تكتب بينهما وثيقة زواج، تسوِّغ العيش تحت سقف واحد.

هذه النظرة الأخيرة قائمة، الآن، على أيِّ حال، حَكَم الحزب الجمهوري أم الحزب الديمقراطي، لكن الجمهوريَّ لا يقرُّها في مبادئه، وإنْ لم يستطع الحيلولة دون قيامها على الواقع... وهكذا. ليس هذا دفاعًا عن الحزب الجمهوري على حساب الحزب الديمقراطي، فكلاهما حزبان لا ننتمي إليهما، إلا أنَّ المشكلة، هنا، تكمُن في الرغبة في تصدير أفكار الحزب الديمقراطي الأمريكي، والأحزاب الديمقراطية الأخرى، في أوروبَّا بالذات، التي تطبِّق الديمقراطية، بالقدر الذي لا يخلُّ بالثقافة الغربية، التي هي أقربُ ما تكون اجتماعيًا إلى العبث بطبيعة الإنسان والأشياء.(١)

أمَّا الدول الأخرى، التي تزعم أنها تتبنَّى الديمقراطية، فهي تؤمن بالديمقراطية القسرية. وهاتان كلمتان لا توصف إحداهما بالأخرى، فليس هناك ديمقراطية قسرية، وليس هناك قسر ديمقراطي. وتصدير الأفكار الديمقراطية ينهج أسلوب القسرية، في فرض قبولها لدى الآخرين، على حساب ثقافاتهم، التي

(١) انظر: عبدالرزاق عيد ومحمَّد عبدالجبار. الديمقراطية بين العِلمانية والإسلام. بيروت: دار الفكر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ٢٦٤ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تخاطب العقل أوَّلاً، وتسعى إلى بناء المجتمع، ولو على حساب الرغبات الفردية غير الموجَّهة توجيهًا سليمًا.(١)

المشكلة، هنا، تكمُن، أيضًا، في أنَّ هيئة الأمم المتحدة، بمنظمَّاتها المختلفة، تميل ميلا قويًّا إلى فرض تجربة الديمقراطية، من حيث منظورها الاجتماعي، على البلاد الأخرى، بحُجَّة أنَّ هذه التجربة هي التي تعين على التغلُّب على مشكلات كثيرة، ومنها النموُّ السكَّاني.(٢)

لا تملك هيئة الأمم المتَّحدة أنْ تنتقد، مثلاً، رمي المحصولات الزراعية من قِبَل الأمم المتحضِّرة في البحر، على حساب الشعوب الجائعة الفقيرة. ولا تملك كذلك أنْ تنتقد الإنفاق الهائل على الحيوانات الأليفة، على حساب الشعوب الجائعة، كذلك.(٣)

الأصل أنَّ الهيئة تعبِّر عن جميع الدول الأعضاء فيها، ولا تعبِّر عن بعض الدول الأعضاء فيها، ولكنَّ هذا الأصل، على ما يبدو، مغيَّبٌ عن الواقع، ولذا قدَّمت الأمم المتحدة الوثيقة التي

(١) انظر: السيد يسين. **الإمبراطورية الكونية: الصراع ضد الهيمنة الأمريكية** ـ القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠٠٤م ـ ٣٢٠ ص.

(٢) انظر: عصمت سيف الدولة. **الاستبداد الديموقراطي** ـ بيروت: دار الكلمة، ١٩٨١م ـ ١٦٩ ص. حيث يعالج المؤلف في هذا الكتاب كلاً من الاستبداد المتخلِّف، والاستبداد المتحضِّر، والاستبداد الديموقراطي.

(٣) انظر جان ـ ماري جيهينو. **نهاية الديموقراطية** ـ مرجع سابق ـ ١٢٠ ص.

عبَّرت عن التجربة الغربية في النظرة إلى السكَّان، والعلاقات الاجتماعية، والأسْرية بينهم، بل إنَّ هناك فئات في المجتمع الغربي وقفت وقفاتٍ قويَّةً وواضحةً، بعيدةً عن الاعتذارية والتملُّق والاستحياء في وجه الوثيقة، وأعلنتها صراحة أنَّ الوثيقة لا تعبِّر عن المطلوب، عقلا، ممَّا يوحي بأنها جاءت تدبيرًا لا يهدُف إلى البناء، وإنْ اتَّخذ من مشكلةٍ قائمةٍ شعارًا له.

هذا يدعو إلى التفتيش عن العقول، التي عملت على صياغة الوثيقة، من حيث منطلقاتُها وانتماءاتُها الفكرية، بعد أنْ تبيَّنت بعضُ أهدافها. هل نملك إنْ نقول: إنَّ هناك مؤامرةً على الجنس البشري، دبَّرها بعض أبناء هذا الجنس البشري؟ الذي نملك أنْ نقوله، باعتقاد جازم، إنَّ هناك شرًّا يقوده أشخاص وجماعات، وأنَّ هذا الشرَّ يصارع الخير، ويحاول أنْ يحلَّ محلَّه. والشرُّ لا يسري بذاته، بل هو بحاجة إلى من يسري به، وأنَّ هذا الصراع قائم مستمرٌّ. وطغيان الشرِّ، في حالات، لا يعني طغيانه في كلِّ الحالات.[1]

(١) انظر في مناقشة نظرية المؤامرة، من حيث نفيُ وجودها: جلال أمين. **عصر التشهير بالعرب والمسلمين: نحن والعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١**. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤م. ص ٩. وانظر أيضًا: عثمان العثمان. نقد نظرية المؤامرة في تفسير الهزائم القومية والإسلامية. دمشق: المؤلف، ٢٠٠٣م. ٣١٨ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الذي يظهر كذلك أن هيئة الأمم المتَّحدة لا تعبِّر عن ثقافات أعضائها جميعهم، بل تسعى إلى فرض ثقافة واحدة، هي ثقافة القوي في الوقت الحاضر، وهي ممثَّلة تمثيلا دقيقًا في مبادئ الديمقراطية في الولايات المتَّحدة الأمريكية، ثم في بعض البلاد الأوروبِّية التي أضحت مختطفة من قبل النموذج الأمريكي. على هذا فإنَّ مصداقية الأمم المتَّحدة تتعرَّض باستمرار إلى الاهتزاز ما دام هذا هو توجُّهها.[1]

☆ ☆ ☆

(١) انظر في مناقشة نظرية المؤامرة، من حيث إثباتُ وجودها: محمَّد إبراهيم بسيوني. المؤامرة الكبرى: مخطَّط تقسيم الوطن العربي من بعد العراق. دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م. ١٨٤ ص. وانظر أيضًا: محمَّد عبدالحليم عبدالفتَّاح. **سرُّ المؤامرة الكبرى: التهويد والتنصير قادم، غرور العقل البشري وتحدِّي الإله**. (القاهرة: المؤلِّف)، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. ١١٢ ص. وانظر، كذلك: مكرم محمَّد أحمد. **مؤامرة أم مراجعة: حوار مع قادة التطرُّف في سجن العقرب**. ط ٢. القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. ٢٤٠ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة التاسعة عشرة:

العبث اليهودي

سلَّمت رأسي إلى حلاَّق في مدينة كليفلاند بولاية أوهايو بالولايات المتَّحدة الأمريكية. لم يكن الحلاَّق ثرثارًا ولكنه كان دمثًا، ينهي مهمَّته بمهارة، ويقرنها بما تحبُّ أنْ تسمع. لاحظ عليّ أنِّي غريب، فأطلق سؤالاً، طالما سمعناه في كل مناسبة: من أين أنت؟ فأجبته بأني من المملكة العربية السعودية. فقال بشيء من المرح الذي لا تخلو نبراته من الحسد: نعم أنت من أرض النفط! ففتح هذا لي مجالاً أنْ أضعه حيث يستحقُّ، وأوقفه عند حدِّه ولكن بهدوء. لكنه سارعني معتذرًا قائلاً: هكذا يقال عنكم كلَّما ذُكرتم، لكني أنا الحلاَّق، هنا، أعرف عنكم غير ذلك مع ذلك. فأنتم أصحاب تراث وتاريخ وعلوم وثقافة. وهذا المجتمع، في نوعية من حضارته، امتدادٌ لحضارتكم، لكنَّه أخذ من حضارتكم العلم البحت والتقنية، ولم يقرنه بالروح، فبدا عليه الضياع والعبث. شعرت أنِّي أهتزُّ طربًا نشوانَ ممَّا يقول هذا الحلاَّق، في وقت تُتَّهم فيه هذه الفئة من بني الغرب بضيق الأفق.

في هذه الأثناء دخل رجل بدا عليه وكأنه تاجر البندقية في هيئته ونظراته وتأبُّطه حقيبته، فحيَّا الحلاَّق تحيَّةً أوحت لي

أنَّه يعرفه من قبل، فردَّ عليه حلاَّقنا تحيَّته بشيء من الفتور، فذكَّره تاجر البندقية بعرضٍ سبق أنْ قدَّمه له، وحلاَّقنا يحاول التخلُّص منه بالحُسنى، وذاك يصرُّ في العرض، عليه حتى ضاق به الحلاَّق ذرعًا، وأخيرًا طلب تاجر البندقية، أو تاجر كليفلاند، من الحلاَّق الاتصال به للتفاوض أكثر فيما بعد، فانصرف غير مأسوف عليه.

لم يكن يهمُّني أمر الرجل، لكنَّ إلحاحه في الطلب والعرض على الحلاَّق لفت انتباهي. وقبل أنْ أبادر بالاستنكار تأفَّف الحلاَّق، وقال: قاتل الله اليهود! فزاد شعوري بالاهتزاز وأنا على كرسي الحلاَّق طربًا نشوانَ مما يقول، فهذه بادرة أخرى لم أكن أتوقَّعها من عامَّة الناس، يصرِّحون بها ضد الجشع والابتزاز اليهودي، لاسيَّما في هذه البقعة الكبيرة من العالم الجديد، فهم، وإنْ كانوا يناصبونهم العداء حقًا، إلا أنَّهم، بحكم التعاليم، يحاولون كتمان ذلك، على غير أصحابهم والمقرَّبين منهم.

لكن صاحبنا هذا فتح لي صفحات من تاريخ العبث اليهودي بالمجتمع الأمريكي. عبث يبدو من ظاهره أنَّه إسهام في حضارة الإنسان، ولكنَّه، في النهاية، محاولة لتطبيق البروتوكولات التي تعاهدوا عليها، ومنها محاولة السيطرة على العالم، علميًا وحضاريًا وطبيًا وفنِّيًا. وبدا لي وكأنَّ حلاَّق كليفلاند يقرأ عليَّ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكتاب بروتوكولات حكماء صهيون، ويذكِّرني بفقراته فقرةً فقرة، وكنت قد مررت عليه زمنًا طويلاً مضى.[1]

يقول لي الرجل: إنَّ اليهود بهذا المجتمع يحتلُّون حوالي خمسين بالمائة (٥٠٪) من المجالات الجادَّة في الحياة الغربية، فتجد خمسين بالمائة (٥٠٪) من الأطبَّاء والعلماء والمفكِّرين والأدباء والفنيِّين والفنَّانين من اليهود، ولكنك لا تجد حوالي ٥٪ منهم في المجالات الهازلة العابثة، كالتسكُّع والتشرُّد في الشوارع، ومتابعة تقليعات الشباب، التي طفت في الستينيات الميلادية، وإنْ كانوا هم الذين يغذُّونها من وراء حجاب.

إذا نظرنا إلى عدد اليهود الذين يعيشون في الولايات المتَّحدة وجدناه لا يكاد يتجاوز الأربعة ملايين (٤,٠٠٠,٠٠٠) نسمة في البلاد التي يكاد يزيد عدد سكَّانها على مئتين وخمسة وتسعين مليون (٢٩٥، ٧٣٤، ١٣٤) نسمة، حسب إحصائية عام ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، أي أنَّ نسبة اليهود لا تكاد تصل إلى اثنين بالمئة (٢٪) من عدد السكَّان. إذا نظرنا إلى هذه الأرقام ربَّما تبادر إلى أذهاننا أنَّ تأثير اليهود البالغ ٥٠٪ على الجوانب الجادَّة في الحياة الأمريكية يكاد يكون مبالغًا فيه نوعًا ما. فالتأثير معروف لدى

(١) انظر: عجاج نويهض. بروتوكولات حكماء صهيون: نصوصها، رموزها، أصولها التلمودية - ط ٣ - بيروت: دار الاستقلال، ١٩٩٠م - ٦٤٤ ص.

الجميع، لكن موضع النقاش في النسبة، ولو كانت هذه النسبة منصبَّة على الجانب الاقتصادي، لكان الأمر ميسورَ التصديق.[1]

ثم إنَّ عدد اليهود في العالم لا يكاد يصل إلى ثلاثة عشر مليون (١٣,٠٩٣,٠٠٠) نسمة، أي أنَّ نسبتهم عالميًا لا تتجاوز (٠,٠٠٣٪) من مجموع سكَّان العالم، الذي يربو اليوم على الستَّة مليارات (٦,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) نسمة، وعددهم هذا لا يوحي بعظم تأثيرهم على أيِّ مجتمع، وذلك لضآلة عددهم وعدم تقبُّل الكثيرين لهم. ومن سمات اليهود الديموجرافية أنهم يتناقصون، بحيث يتوقَّع معهد اليهودية المعاصرة التابع للجامعة العبرية بالقدس أنْ يصل عددهم سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م إلى ثلاثة عشر مليون وأربع مئة وثمانية وعشرين ألف (١٣,٤٢٨,٠٠٠) نسمة فقط، حتَّى بدأ الحديث عن "موت الشعب اليهودي".[2]

يذكر بعض النقَّاد أنَّ التوكيد على تأثير اليهود على أيِّ مجتمع يعطيهم أكثرَ مما يستحقُّون، وأنَّ هذا التأثير إنما جاء

(١) انظر: عبدالوهَّاب المسيري. **موسوعة اليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد**. ٨ مج. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م. وقد اختصرها المؤلِّف في جزأين، ونشرتها دار الشروق بالقاهرة في طبعتها الثانية سنة ٢٠٠٥م.

(٢) انظر الفصل الثالث: إشكالية الإحصاءات. ص ٤١ ـ ٥٦.

في: عبدالوهَّاب المسيري. **الأكاذيب الصهيونية من بداية الاستيطان حتَّى انتفاضة الأقصى**. القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠١م. ١٨٤ ص. (سلسلة اقرأ؛ ٦٦١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لفترة من الزمن، حاولوا فيها استدرار عطف الناس بما روَّجوه من مذابح جرت لهم، أيَّام الحرب العالمية الثانية على يد النازيين، الذين لا يزال اليهود يلاحقونهم في كل مكان، لاسيَّما في أوروبَّا والأمريكتين الشمالية والجنوبية.(١)

كما يؤكِّد هؤلاء النقَّاد على أنَّ الاعتراف بهذا التأثير له نتائجه غير المرغوبة في حياة الشعوب، لاسيَّما منها ما كان لها مساس مباشر بقضايا لليهود، في الوقت الراهن، كقضية فلسطين، وأنَّ إسباغ هذه "الهالة" عليهم، والتهويل من أمرهم فيه مدعاة للوهن والاستسلام، والاعتراف بأساطير يردِّدونها، تدور حول أنَّهم لا يُقهرون.

أمام هذين الرأيين، رأي حلاَّق كليفلاند ورأي المحلِّلين المتابعين، يقف المرء وهو في حيرة من أنْ يصل إلى رؤية صحيحة، يعتمد عليها، فرأي حلاَّق كليفلاند ملموس هناك، ويتضايق الكثيرون من أمثال حلاَّق كليفلاند من وجود اليهود، بل إنَّ الوثائق الموروثة أشارت إلى أنَّ **بنجامين فرانكلين**، أحد مؤسِّسي الولايات المتَّحدة كتب وثيقةً يحذِّر فيها من السماح لهجرة اليهود إلى الدنيا الجديدة؛ لأنَّه إنْ أُتيحت لهم الهجرة «فسنصبح لهم زرَّاعًا

(١) انظر: المركز العالمي للدراسات الإستراتيجية. **تبرئة هتلر من تهمة الهولوكوست**. ط ٢. الرياض: المركز، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م. ٩٨ ص.

وصناعًا وعاملين، ونترك لهم المجال أنْ يجنوا ما نزرع فنصبح لهم مستعبدين»، كما تشير الوثيقة، ومثل هذه الوثيقة كلام أُثر عن جورج واشنطون، أبو أمريكا، كما يسمُّونه، فقد حذَّر من هجرة اليهود إلى أمريكا.

الواقع يشير إلى أنَّ هجرة اليهود إلى أمريكا لم يُسمح بها إلا في بداية القرن الميلادي العشرين. وكانوا قبل ذلك يُمنعون من دخول الولايات المتَّحدة. وفي هذا دلالة على أنَّ لهم تأثيرًا ما، بغضِّ النظر عن نسبة التأثير. ولهم تأثير كذلك على الجوانب الجادَّة في الحياة الأمريكية والغربية والشرقية عن طريق الماسونية على حدٍّ سواء، ليس في المجالات السياسية والاقتصادية فحسب، ولكن في المجالات الاجتماعية، التي ذُكرت آنفًا.[1]

☆ ☆ ☆

(١) عبدالوهَّاب المسيري. **اليد الخفية: دراسة في الحركات اليهودية الهدَّامة والسريَّة**. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠م. ٣٢٨ ص. (سلسلة مكتبة الأسرة).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقفة العشرون

العبث بالأذهان

قابلت مرَّةً الدكتور **محمَّد المهدي** رئيس جمعية الصداقة العربية الأمريكية عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، في مطار هيثرو بلندن، وكنت مكبًّا، وزميل الرحلة العلمية الصديق العزيز الدكتور/ **عجلان بن محمَّد العجلان**، على متابعة زيارة الرئيس المصري الراحل **محمَّد أنور السادات** لتلِّ أبيب، في الجريدة، عندما نظر إلينا الرجل، وهو قريب منَّا، فبدأ الحديث بما يوحي بأنَّه يشاركنا الشعور نفسه.

طال بنا الحديث حول الحدث المذكور، لينتهي بأن يقرِّر الدكتور المهدي بأنَّنا أمام أفعى تسمَّى إسرائيل، رأسها في نيويورك وذيلها في فلسطين، فعلينا إنْ أردنا التعامُل معها البدء من رأسها، لا من ذيلها، حيث يعيش في الولايات المتَّحدة الأمريكية ما يزيد عن ثلاثة وأربعين بالمئة (٤٣,١٪)، أي بما يصل إلى خمسة ملايين وخمس مئة وخمسة عشر ألف (٥,٥١٥,٠٠٠) نسمة من عدد اليهود في العالم، بينما يعيش في فلسطين

المحتلَّة، التي أراد لها اليهود أنْ تكون وطنهم القومي قرابة تسع وعشرين بالمئة (٢٩,٠٪)، أي ما يصل إلى ثلاثة ملايين وسبع مئة وسبعة عشر ألف (٣,٧١٧,٠٠٠) يهودي.[١]

تؤيِّد البيانات حول الدعم الماديِّ والمعنوي لهذا الذيل من قبَل الرأس، إذ من المعلوم أنَّ دافع الضرائب الأمريكي يدعم دولة اليهود في فلسطين المحتلَّة بثلاثة مليارات (٣,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار سنويًّا، نقداً، منذ سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، بالإضافة إلى التسليح التقليدي والنووي، وتطوير صناعة السلاح للطائرات الحربية، والصواريخ التي وصل مداها إلى ٧,٥٠٠ كيلو متر. هذا بالإضافة إلى التبرُّعات التي تؤثِّر على الإفادة محلِّيًا من الضرائب، إذ إنَّها تحسم من المستحقَّات على دافعي الضرائب،[١] والدعم السياسي غير المحدود، وحماية دولة الاحتلال في المحافل والمنظَّمات الدولية.

---

(١) انظر: عبدالوهَّاب المسيري. **الأكاذيب الصهيونية من بداية الاستيطان حتَّى انتفاضة الأقصى**- مرجع سابق- ص ٥٧.

(٢) يرى المستشار الاقتصادي الأمريكي توماس ستوفز أن مجمل المساعدات الماديِّة المدنية والعسكرية والخسارات المعنوية التي تكبَّدها المواطن الأمريكي جرَّاء وقوف الإدارات الأمريكية المتعاقبة تقدّر بتريليون وست مئة مليار (١,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار. انظر: مصطفى الدبَّاغ. **إمبرطورية تطفو على سطح الإرهاب: الكتاب الذي يجيب على التساؤل الأمريكي: لماذا يكرهوننا؟**- بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م- ص ٨٨. ويفصِّل المؤلِّف هذه المساعدات في: الفصل الرابع من الكتاب: أمريكا تدخل بيت الطاعة الإسرائيلي- ص ٧٥ - ٩٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدكتور محمَّد المهدي لا يفتأ يدعو لذلك في كلِّ مجال، في مقابلته للزعماء العرب، وفي محاضراته هنا وهناك، وفي مقالاته وأحاديثه. وفي هذا دلالة على أنَّ التأثير موجود. ولا نزيد التوقُّف كثيرًا عند النسبة، فلعلَّ حلاَّق كليفلاند قد بالغ في تفسير البعض لمجمل القضية.

نقف أمام الرأي الآخر الذي يقول: إنَّ هناك مبالغةً وتهويلاً في تأثير اليهود على المجتمعات الغربية سياسيًا واقتصاديًا وعلميًا وفنيًا. وأنَّ إعطاءهم مثل هذا القدر إنَّما هو عامل نفسي أريد به أنْ يوهن من عزم غير اليهود بهذه الأوهام. هذا العامل النفسي سبق لهم أنْ استعملوه في مجالات عدَّة، منذ ظهورهم وشعورهم بأنَّهم شعب الله المختار إلى تحوُّلهم إلى اعتناق مبادئ الصهيونية والماسونية.[1]

استعملوا في ترسيخ هذا العامل النفسي خِدعًا كثيرة، وصلت بهم إلى التضحية بأبناء عقيدتهم في سبيل الوصول إلى التأثير الادِّعائي هذا. فالذين دلُّوا النازية على مساكن اليهود الخربة (الغيتو) إنَّما هم يهود معروفون.[2] والذين أُحرِقوا في معسكرات الغاز لم يكونوا كلُّهم يهودًا، ولم يكونوا ستة ملايين بمجملهم، كما

(١) انظر: محمَّد جمال طحَّان. الخديعة الكبرى: هل اليهود. حقًا. شعب الله المختار؟ ـ مرجع سابق ـ ٢٤٠ ص.

(٢) انظر في التعريف بالغيتو اليهودي. سناء عبداللطيف حسين صبري. الجيتو اليهودي: =

تدِّعي أساطيرهم. والذي يُثبت هذه الحقائق مدلَّلةً قومٌ منهم كان لهم دور في الدعوة إلى اليهودية من رجال الدين اليهودي.

لقد نُشرت المقالات العديدة التي كتبها هؤلاء الحاخامات اليهود، ينفون فيها مسألة الستة ملايين نسمة، ويؤكِّدون على أنَّها لا تعدو أنْ تكون مجرَّد أسطورة، أُريد من ورائها دغدغة العواطف، ونيل التعاطُف من قِبل الحكومات الديمقراطية الغربية. وقد كان لهم شيء مما أرادوا، لكنه لا يصل إلى أنْ يكون لهم الدور الأكبر في هذه الدول.

لعلَّ من أمثلة استغلالهم للعواطف ما نشروه من مذكِّرات **آن فرانك**، التي تحكي فيها قصَّة مذبحتهم على يد النازية، إبَّان الحرب العالمية الثانية ١٣٦١ ـ ١٣٦٦هـ الموافق ١٩١٩ ـ ١٩٤٥م. وكاتبة المذكِّرات كانت قد توفِّيت، باعتراف والدها بالتيفوس، قبل نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٥م. وعندما توفِّي الوالد عام ١٩٨٠م حصلت محكمةٌ في هامبورغ بألمانيا على النسخة الأصلية من المذكِّرات، التي تؤكِّد وقوع المذبحة، واختبرتها لتكتشف أنَّ المذكِّرات كلها كانت قد كُتبت بالخط نفسه، وأنَّها كتبت بالقلم الناشف، الذي لم يخترع قبل عام ١٩٥١م، أي بعد

= دراسة للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي ـ دمشق: دار القلم، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ـ ٤٥٤ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ست سنين من وفاة كاتبة المذكِّرات. ولم يكن والد الفتاة يريد أنْ تقع مذكِّراتها الأصلية في أيدي الناس إبَّان حياته.

ليس هذا مجال التفصيل في المذكِّرات، لكنها كانت شائعة، إلى درجة أنها وضعت في قائمة الكتب المطلوب قراءاتها على طلاَّب المستوى السابع (الأول المتوسط) في إحدى مقاطعات ولاية فرجينيا بالولايات المتَّحدة، وقد طُبع منها حوالي أربعة عشر مليون (١٤,٠٠٠,٠٠٠) نسخة، بالإضافة إلى تمثيلها في السينما والتلفزيون، مما أتاح لمئات الملايين مشاهدتها في أماكن متعدِّدة. لكنَّ مواطني المقاطعة طالبوا إدارة التعليم فيها برفع المذكِّرات من القائمة؛ نظرًا لما تحتويه من مشاهد سيئة أخلاقيا.

هذا مثال واحد فقط لأسلوب من أساليب استدرار العطف على اليهود لمساعدتهم في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، من جهة، ولتسخير الموارد الاقتصادية، وغيرها، لهم من قِبل الدول الصناعية، عن طريق الهبات النقدية التعويضية العالية، التي تصرف لكلِّ يهودي في ألمانيا وفي فلسطين المحتلَّة، إمَّا بطريق مباشر أو غير مباشر.

نحن، بحكم خلفيتنا الدينية، نؤمن إيمانًا يمليه علينا القرآن الكريم، من خلال قصصهم، وسيرة الرسول ﷺ من خلال مواقفهم منه، نؤمن أنَّهم قوم غير سويِّين ثقافيًا، بأيِّ حال من

الأحوال، وأنَّهم أُشربوا في نفوسهم حبَّ السيطرة على العالم، واتَّبعوا في ذلك كل الأساليب غير المشروعة، وفرَّقوا بين الناس، وحاولوا، ولا يزالون يحاولون، إدخال الشكوك والفرقة والتناحُر بينهم، في سبيل الهدم وإشاعة الفوضى والاضطراب.

كان الأوس والخزرج من الأنصار مجتمعين في مكان ما من المدينة المنوَّرة، جمع بينهم الإسلام، وكانوا قبله متفرِّقين، فلاحظ هذه الأُلفةَ رجلٌ من يهود بني قينقاع، يقال له **شاس بن عدي**، أو **شاس بن قيس**، وكان من أحبار اليهود، وهو معروف، فجذب فتى يهوديًا إليه، وأوعز له أنْ يذهب ويثير في هاتين القبيلتين النعرة القبلية، ويذكِّرهم بأيَّامهم غير المستقرَّة، وما جرى فيها من حروب وانتصارات ونحوها، مما دار أيام الجاهلية. فذهب الفتى وصنع ما صنع، مما أثار حفيظة الجمعَين، حتى كادا أنْ يلتحما، لولا أنَّ بلغ الخبرُ رسولَ الله ﷺ، فهُرع إليهم، وذكَّرهم بما هم عليه مما يجُبُّ ما قبله، فاستعاذوا بالله من الشيطان الرجيم، وأدركوا الحيلة. والأمثلة المشابهة كثيرة.

هذا يوحي لنا بالموقف الحازم الذي يلزم أنْ نتَّخذه حيال اليهود، مهما بدا منهم من تقرُّب أو محاولة تقريب، فأمرهم لدينا معروف، ولكن علينا أنْ ندرك ذلك إدراك الموقنين المتذكِّرين المواقف الكثيرة التي حصلت، ولا تزال تحصل على مرِّ الأيام،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ليس على المسلمين أو العرب فحسب، بل إنَّ عقيدة اليهود الراسخة تملي على أباعها هذه المواقف.(١) ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾(المائدة ٨٢).

☆ ☆ ☆

(١) أوحت بهاتين الوقفتين الأخيرتين قطعةٌ كتبها الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي ـ رحمه الله تعالى ـ بعنوان: **حلاَّق كوالالمبور من كتابه: خمسة أيَّام في ماليزيا** ـ ط ٢ ـ الرياض: دار الرفاعي، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ـ ٥٨ ص ـ (سلسلة المكتبة الصغيرة).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المراجع

١- أبو بكر، أميمة وشيرين شكري. **المرأة والجندر: إلغاء التمييز الثقافي والاجتماعي بين الجنسين**. دمشق: دار الفكر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. ٢٥٥ ص. (سلسلة حوارات لقرن جديد).

٢- أبو خليل، شوقي. **تحرير المرأة ممن؟ وفيمَ حريَّتها؟**. ط ٣. بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ٧٩ ص.

٣- أبو خليل، شوقي. **التسامُح في الإسلام: المبدأ والتطبيق**. ط ٢. دمشق: دار الفكر، ١٩٩٨م. ١٤٣ ص. (سلسلة هذا هو الإسلام؛ ٣).

٤- أبوخليل، شوقي. **الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشِّرين**. دمشق: دار الفكر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. ٢٤٠ ص.

٥- أبو شقَّة، عبدالحليم محمَّد. تحرير المرأة في عصر الرسالة: **دراسة عن المرأة جامعة لنصوص القرآن الكريم وصحيحي البخاري ومسلم**. ٦ ج. ط ٦. الكويت: دار القلم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٦- أبو عباة، إبراهيم بن محمَّد. **الصراع بين الحقِّ والباطل: وما تخفي صدورهم أكبر**. ط ٢. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م. ٨٥ ص.

٧- أبو العلا، عادل محمَّد صالح. **الصراع بين الحقِّ والباطل كما جاء**

في سورة الأعراف. الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ٧٩٠ ص.

٨- أحمد، مكرم محمَّد. **مؤامرة أم مراجعة: حوار مع قادة التطرُّف في سجن العقرب**. ط ٢. القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م. ٢٤٠ ص.

٩- إدريس، محمد جلاء. **العلاقات الحضارية**. دمشق: دار القلم، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ١٧٦ ص.

١٠- أرسلان، شكيب. **لماذا تأخَّر المسلمون وتقدَّم غيرهم؟**/ تقديم محمَّد رشيد رضا؛ مراجعة خالد فاروق. القاهرة: دار البشير، ١٩٨٥م. ١٦٢ ص.

١١- الأطير، حسني يوسف. **البدايات الأولى للإسرائيليات في الإسلام**. ط ٢. القاهرة: مكتبة النافذة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ١٦٠ ص.

١٢- أمين، جلال. **عصر التشهير بالعرب والمسلمين: نحن والعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١**. القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. ١٤٣ ص.

١٣- بسيوني، محمَّد إبراهيم. **المؤامرة الكبرى: مخطَّط تقسيم الوطن العربي من بعد العراق**. دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م. ١٨٤ ص.

١٤- بلقزيز، عبدالإله، محاور. **الإسلام والحداثة والاجتماع السياسي: حوارات فكرية**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤هـ. ١٤٧ص.

١٥- بلكا، إلياس. عقائد «نهاية العالم» في الفكر الغربي. **التسامُح**. ع ٨ (خريف ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. ص ٢٥٣ - ٢٦٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٦- بوكانن، باتريك ج.. **موت الغرب: أثر شيخوخة السكَّان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب**/ نقله إلى العربية محمَّد محمود التوبة؛ راجعه محمَّد بن حامد الأحمري. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م. ٥٢٩ ص.

١٧- بوكاي، موريس. **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدَّسة في ضوء المعارف الحديثة**. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨م. ٢٩١ ص.

١٨- التركي، عبدالله بن عبدالمحسن. **الأمن في حياة الناس وأهميَّته في الإسلام**. الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. ١٣٣ ص.

١٩- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية**. ٣٧ مج/ جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي ومحمَّد بن عبدالرحمن بن قاسم. الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م. ٢٨: ١٢١ - ١٧٩.

٢٠- جابر، خليل حسن. **بنو إسرائيل والإفساد الأول والثاني والثالث ونهايتهم على أيدي أصحاب مملكة المسلمين الأبدية**. ط ٢. بيروت: دار المحجَّة البيضاء، ٢٠٠٣م.

٢١- الجندي، أنور. **شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي**. دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م. ٤٣١ ص.

٢٢- الجوير، إبراهيم بن مبارك. **عمل المرأة في المنزل وخارجه**. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ١٢٠ ص.

٢٣- جيهينو، جان ـ ماري. **نهاية الديموقراطية**/ ترجمة حليم طوسون. القاهرة: مكتبة الشروق، ١٩٩٥م. ١٢٠ ص.

٢٤- حبيب، رفيق. **حضارة الوسط: نحو أصولية جديدة**. القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. ٢٥٩ ص. (سلسلة في فقه الحضارة العربية الإسلامية).

٢٥- حسن، محمَّد خليفة. **أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر**. الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية؛ عمادة البحث العلمي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ص ٢٥٩.

٢٦- حسين، عقيلة. **المرأة في الفكر الاستشراقي**. بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ٢٩٠ ص.

٢٧- الحصيِّن، صالح بن عبدالرحمن. **قضايا بلا حدود**. الرياض: الإسلام اليوم، ١٤٢٥هـ. ص ٦٩.

٢٨- الحلواني، أمين بن حسن. **نبش الهذيان من تاريخ جرجي زيدان**/ تحقيق مازن صلاح مطبَّقاني، تقديم محمَّد السيد الوكيل. المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م). ٨٤ ص. (سلسلة دراسات منهجية للاستشراق؛ ٤).

٢٩- حمَّاد، سهيلة زين العابدين. **المرأة المسلمة ومواجهة تحدِّيات العولمة**. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ٢١٥ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣٠- الخربوطلي، علي حسني. **المستشرقون والتاريخ الإسلامي**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م. ١٣٧ ص. (سلسلة تاريخ المصريين؛ ١٥).

٣١- الخليفة، مي محمَّد. **من سواد الكوفة دل إيرانشهر إلى البحرين: القرامطة من فكرة إلى دولة**. بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٩م. ٣٧٨ ص.

٣٢- الدبَّاغ، مصطفى. **إمبرطورية تطفو على سطح الإرهاب: الكتاب الذي يجيب على التساؤل الأمريكي: لماذا يكرهوننا؟**. بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م. ١٦٤ ص.

٣٣- رايت، بيتر. **صائد الجواسيس**/ ترجمة عماد القسوس. ط ٢. عمَّان: دار الشروق، ١٩٨٨م. ٤٠٤ ص.

٣٤- الرفاعي، عبدالعزيز. **خمسة أيَّام في ماليزيا**. ط ٢. الرياض: دار الرفاعي، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. ٥٨ ص. (سلسلة المكتبة الصغيرة).

٣٥- زقزوق، مزقزوق، محمود حمدي. الإسلام في عصر العولمة. القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م. ١١٩ ص.

٣٦- زقزوق، محمود حمدي. **الإنسان والقيم في التصوُّر الإسلامي**. القاهرة: دار الرشاد، ٢٠٠٤م. ٢٧٠ ص. (سلسلة مكتبة الأسرة، الأعمال الدينية؛ ١٠).

٣٧- الزنداني، عبدالمجيد. **المرأة وحقوقها السياسية في الإسلام**. الكويت: مكتبة المزار الإسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ١٨٠ ص.

٣٨- سعد، حسين. **بين الأصالة والتغريب في الاتجاهات العلمانية عند بعض المفكرين العرب والمسلمين في مصر ١٩٠٠م/ ١٣١٨هـ إلى ١٩٦٤م/ ١٣٨٤هـ**. بيروت: المؤسَّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ١٨٤ ص.

٣٩- السعداوي، نوال وهبة رؤوف عزَّت. **المرأة والدين والأخلاق**. دمشق: دار الفكر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. ٣٢٨ ص. (سلسلة حوارات لقرن جديد).

٤٠- سكيف، علي. **نهاية التاريخ في الفكر الإسلامي الحديث**. دمشق: الأوائل، ٢٠٠٤م. ٢٧٧ ص.

٤١- سيف الدولة، عصمت. **الاستبداد الديموقراطي**. بيروت: دار الكلمة، ١٩٨١م. ١٦٩ ص.

٤٢- الشرفي، عبدالمجيد. **الإسلام والحداثة**. تونس: دار الجنوب، ١٩٩٨م. ٢٣٠ ص.

٤٣- الشريف، مصطفى. **الإسلام والحداثة: هل يكون غداً عالم عربي؟**. القاهرة: دار الشروق، ١٩١٤هـ/ ١٩٩٩م. ١٠٤ ص.

٤٤- شعبان، عبدالمحسن. **فقه التسامُح**. بيروت: دار النهار، ٢٠٠٥م.

٤٥- شكّ، إرفن جميل. **الاستشراق جنسيًا**/ ترجمة عدنان حسن؛ تقديم ممدوح عدوان. بيروت: قدمس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م. ٣٥٨ ص.

٤٦- شلبي، أحمد. **الاستشراق تاريخه وأهدافه، شبهات المستشرقين ضد الإسلام، مناقشتها وردها**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ٢١٢ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤٧- الشوباشي، شريف. **نهاية التفكير**. القاهرة: الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ٢٠٠١م. ١٨٢ ص. (سلسلة مكتبة الأسرة).

٤٨- صبري، سناء عبداللطيف حسين. **الجيتو اليهودي: دراسة ١- للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي**. دمشق: دار القلم، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. ٤٥٤ ص.

٤٩- طاش، عبدالقادر. **الإعلام والتغريب الثقافي**. الرياض: مؤسَّسة آسام، ١٤١٣هـ. ٥٥ ص.

٥٠- طاش، عبدالقادر. **هارون الرشيد**. بلينفيلد، إنديانا: منظَّمة الشباب المسلم العربي.

٥١- طحَّان، محمَّد جمال. **الخديعة الكبرى: هل اليهود. حقًا. شعب الله المختار؟**. دمشق: الأوائل، ٢٠٠٣م. ٢٤٠ ص.

٥٢- عبدالحكيم، منصور. **نهاية العالم وأشراط الساعة**. دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م. ٢٦٢ ص.

٥٣- عبدالحميد، محسن. **أزمة المثقَّفين تجاه الإسلام**. القاهرة: دار الصحوة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٥٤- عبدالعزيز، زينب. **هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة: الحداثة والأصولية**. دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٤م. ٢٠٠ ص. (سلسلة صليبية الغرب وحضارته؛ ٤).

٥٥- عبدالفتَّاح، محمَّد عبدالحليم. **سرُّ المؤامرة الكبرى: التهويد والتنصير قادم، غرور العقل البشري وتحدٍّي الإله**. (القاهرة: المؤلِّف)، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ١١٢ ص.

٥٦- عبدالوهَّاب، أحمد. **التغريب: طوفان من الغرب**. القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م. ٤٨ ص.

٥٧- العثمان، عثمان. **نقد نظرية المؤامرة في تفسير الهزائم القومية والإسلامية**. دمشق: المؤلف، ٢٠٠٣م. ٣١٨ ص.

٥٨- العشماوي، **عبدالرحمن بن صالح. وقفة مع جرجي زيدان**. ط. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ١٢٣ ص.

٥٩- العُمَري، أكرم ضياء. **التراث والمعاصرة**. الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٥هـ. ١٤١ ص. (سلسلة كتاب الأمَّة؛ ١٠).

٦٠- العقيقي، نجيب. **المستشرقون: موسوعة في تراث العرب، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتَّى اليوم**. ٣ مج. ط ٤. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م.

٦١- عيد، عبدالرزاق ومحمَّد عبدالجبار. **الديمقراطية بين العِلمانية والإسلام**. بيروت: دار الفكر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ٢٦٤ ص.

٦٢- الغذَّامي، عبدالله محمَّد. **حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية**. ط ٢. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٤م. ٣٠٤ ص.

٦٣- الغزالي، أبو حامد محمَّد. **تهافت الفلاسفة**/ تقديم وضبط وتعليق جيرار جهامي. بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٣م. ٢٣١ ص.

٦٤- ابن الفوطي. **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**. ٤ (١): ٢٤١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٦٥- فوكوياما، فرانسيس. **نهاية الإنسان: عواقب الثورة البيوتكنولوجية**/ ترجمة أحمد مستجير- القاهرة: سطور، ٢٠٠٢م- ٣٠٤ ص.

٦٦- فوكوياما، فرانسيس. **نهاية التاريخ**/ ترجمة حسين الشيخ- بيروت: دار العلوم العربية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م- ٢٨٠ ص.

٦٧- القحطاني، محمَّد بن سعيد بن سالم. **الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف**- الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥/١٩٨٥- ٤٧٦ ص.

٦٨- القرني، عوض. **الحداثة في ميزان الإسلام**- القاهرة: دار هجر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٦٩- قلالة، محمَّد سليم. **التغريب في الفكر والسياسة والاقتصاد**- دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م- ٢٤٠ ص.

٧٠- ابن كثير، الحافظ. **البداية والنهاية**/ دقّق أصوله وحقّقه أحمد أبو ملحم وآخرون- ٨ مج- القاهرة:دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م- ٦ (١٢): ١٠٧ - ١٠٨.

٧١- الكوثر. إحصائية التنصير للعام ٢٠٠٣: ٣٢٠ بليون دولار تبرُّعات للأغراض الكنسية- **الكوثر** مج ٣ ع ٤٢ (صفر ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م)- ص ٣٤.

٧٢- لويس، برنارد. أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية/ ترجمة حكمت تلحوق- بيروت: دار الحداثة، ١٩٨٠م-

٧٣- لويس، برنارد. **الحشّاشون: فرقة ثورية في تاريخ الإسلام**/ ترجمة محمد العزب موسى. ط ٢. القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٦م. ٢٠٣ ص.

٧٤- محمود، جمال الدين محمّد. **المرأة المسلمة في عصر العولمة**. القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م. ٢٢٢ ص.

٧٥- محمود، عبدالحليم. **موقف الإسلام من الفنّ والعلم والفلسفة**. القاهرة: دار الرشاد، ٢٠٠٣م. ٢٦٢ ص.

٧٦- محمود، علي عبدالحليم. **التراجُع الحضاري في العالم الإسلامي وطريق التغلُّب عليه**. المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. ٤٥٦ ص.

٧٧- مراد، مصطفى. **نهاية العالم**. القاهرة: دار الفجر للتراث، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ٣١٢ ص.

٧٨- مرسي، محمّد عبدالعليم. **التغريب في التعليم في العالم الإسلامي**. الرياض: جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م. ٩٢ ص.

٧٩- المركز العالمي للدراسات الإستراتيجية. **تبرئة هتلر من تهمة الهولوكوست**. ط ٢. الرياض: المركز، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م. ٩٨ ص.

٨٠- المسيري، عبدالوهّاب. **الأكاذيب الصهيونية من بداية الاستيطان حتّى انتفاضة الأقصى**. القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠١م. ١٨٤ ص. (سلسلة اقرأ؛ ٦٦١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٨١- المسيري، عبدالوهَّاب وفتحي التريكي. **الحداثة وما بعد الحداثة**. دمشق: دار الفكر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ٣٦٨ ص. (سلسلة حوارات لقرن جديد).

٨٢- المسيري، عبدالوهَّاب. **موسوعة اليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد**. ٨ مج. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م.

٨٣- المسيري، عبدالوهَّاب. **اليد الخفية: دراسة في الحركات اليهودية الهدَّامة والسريَّة**. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠م. ٣٢٨ ص. (مشروع مكتبة الأسرة).

٨٤- مصطفى، عبدالعزيز. **حمَّى سنة ٢٠٠٠**. لندن: المنتدى الإسلامي، ١٩٩٧م. ٢٦٢ ص.

٨٥- **المنجد في اللغة والأعلام**. ط ٢٣. بيروت: دار المشرق، ١٩٩٨م.

٨٦- منظمة العمل الدولية. **التقرير الرابع: حماية الأمومة في العمل: مراجعة اتفاقية حماية الأمومة (مراجعة) ١٩٥٢ (رقم ١٠٣) والتوصية، ١٩٥٢ (رقم ٩٥)**. جنيف: مكتب العمل الدولي، ١٩٩٩م. ١٢٩ ص.

٨٧- موسى، صبري أحمد. **نبوءات نهاية العالم بين الأديان السماوية والواقع العلمي المعاصر: دراسة دينية مقارنة في اليهودية والمسيحية والعقيدة الإسلامية**. القاهرة: دار البشير، ١٩٩٨م. ٢٤٠ ص.

٨٨- النملة، علي بن إبراهيم. **الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصُّل من المصطلح**. الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ١٨٢ ص.

٨٩- النملة، علي بن إبراهيم. التجهيزات الأساسية للمعلومات: نظرة عامة. **مكتبة الإدارة**. ع ٢ مج ١٢ (جمادى الأولى ١٤٠٥هـ/يناير - فبراير ١٩٨٥م). ص ٢٣ - ٣٨.

٩٠- النملة، علي بن إبراهيم الحمد. **التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته**. ط ٤. الرياض: المؤلِّف، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ٢٤٨ ص.

٩١- النملة، علي بن إبراهيم. **السعوديون والخصوصية الدافعة: الإصرار على التميُّز في زمن العولمة**. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ٢٦٥ ص.

٩٢- النملة، علي بن إبراهيم الحمد. **ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات**. ط ٢. الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ٢١٠ ص.

٩٣- نويهض، عجاج. **بروتوكولات حكماء صهيون: نصوصها، رموزها، أصولها التلمودية**. ط ٣. بيروت: دار الاستقلال، ١٩٩٠م. ٦٤٤ ص.

٩٤- هنادي، محمَّد بن عبدالقادر. **تطبيق الشريعة الإسلامية في العصر الحديث ونموذج المملكة العربية السعودية**. الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. ١٣٤ ص. (سلسلة شهادات؛ ٢).

٩٥- هوفمان، مراد. **الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود**. القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م. ٢٧٦ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٩٦- يسين، السيد. **الإمبراطورية الكونية: الصراع ضد الهيمنة الأمريكية**. القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠٠٤م. ٣٢٠ ص.

٩٧- يونس، أحمد. **المسلمون الأمريكيون: أقسم بالله أن أقول الحق**/ ترجمة نشأت جعفر. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ٦٤ ص.

☆ ☆ ☆

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كتب للمؤلِّف

١- **الاستشراق في الأدبيَّات العربية: عرض للنظرات وحصر وراقي للمكتوب**. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. ٣٧٠ ص.

٢- **الاستشراق والدراسات الإسلامية: مصادر المستشرقين ومصدريَّتهم**. الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ٢٦٢ ص. (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٣).

٣- **إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي: دراسة تحليلية، ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة**. الرياض: المؤلف، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. ١٩٨ ص. (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٤).

٤- **الالتفاف على الاستشراق: محاولات التنصُّل من المصطلح**. الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ١٨٢ ص. (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٥).

٥- **تأمُّلات في طريق الدعوة: جولات في الزمان والمكان والتحدِّيات**. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ٢٥٠ ص.

٦- **التنصير في الأدبيَّات العربية**. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م. ٢٧٢ ص.

٧- **التنصير في المراجع العربية**: دراسة ورصد وراقي للمطبوع ـ ط ٢ ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ـ ٤١٩ ص.

٨- **التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته** ـ القاهرة: دار الصحوة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ـ ١٢٠ ص.

٩- **التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته** ـ ط ٢ ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ـ ١٥٢ ص.

١٠- **التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته** ـ ط ٣ ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ـ ١٦٧ ص.

١١- **التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته** ـ ط ٤ ـ الرياض: المؤلِّف: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م ـ ٢٤٨ ص.

١٢- **ثقافة العبث: سلوكيات عبثية في زمن الفاقة** ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م ـ ٢٥٠ ص.

١٣- **الجهاد والمجاهدون في أفغانستان: وقفات تقويم** ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ـ ١٢٥ ص.

١٤- **السعوديُّون: الثبات والنماء** ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ـ ٣١٤ ص.

١٥- **السعوديُّون والخصوصية الدافعة: وقفات مع مظاهر التميُّز في زمن العولمة** ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م ـ ٢٥٠ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٦- **الشرق والغرب: محدِّدات العلاقات ومؤثِّراتها** ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م ـ ٢٤٨ ص.

١٧- **الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدِّاتها** ـ ط ٢ ـ بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م ـ ١٧٣ ص.

١٨- **الصراع العربي في الكويت: فرض الأفكار قسراً** ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ـ ١٥٢ ص.

١٩- **ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات** ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ـ ٢١٠ ص ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ١).

٢٠- **العولمة والموارد البشرية في منطقة الخليج العربية** ـ ط ٢ ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م ـ ٢٠٩ ص.

٢١- **الفكر بين العلم والسلطة: من التصادُم إلى التعايُش** ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م ـ ٢٧٧ ص.

٢٢- **فكر الانتماء في زمن العولمة: وقفات مع المفهومات والتطبيقات** ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م ـ ٣٢٤ ص.

٢٣- **مراجعات في نقد الاستشراق: مقدِّمات لرصد وراقي "ببليوجرافي"** ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م ـ ٢٢١ ص. (سلسلة الدراسات الاستشراقية؛ ٦).

٢٤- **مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين** ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢/م ـ ١٣٢ ص.

٢٥- **مراكز النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية**. ط ٢. الرياض: المؤلف، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤/م. ٢٠٠ ص.

٢٦- **المستشرقون ونشر التراث: دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر**. ط ٢. الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ١٩١ ص. (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٢).

٢٧- **مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف**. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. ٥٦ ص. (ضُمِّن في كتاب: الاستشراق والدراسات الإسلامية).

٢٨- **المكتبات والمعلومات السعودية: وقفات صحفية**. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ٢٨٤ ص.

٢٩- **مصادر المعلومات عن الأدب الجاهلي: رصد وراقي**. الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. ٢٦٠ ص. (بالاشتراك مع: عفيف محمد عبدالرحمن).

٣٠- **المستشرقون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين، مع نماذج من المستشرقين المنصِّرين**. الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ١٧٨ ص. (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٤).

٣١- **مواجهة الفقر: المشكلة وجوانب المعالجة**. الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ٣٩ ص. (سلسلة كُتيِّب المجلَّة العربية؛ ٩٠). (بالاشتراك مع: صالح بن محمَّد الصغيِّر).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣٢- **وبشِّر الصابرين: كلماتٌ في رجال تركوا أثرًا** - الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م - ٢٤٠ ص.

٣٣- **وبشِّر الصابرين: كلماتٌ في رجال تركوا أثرًا** - ط ٢ - الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م - ٢٩٨ ص.

٣٤- **الوراقة وأشهر أعلام الورَّاقين: دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات** - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م - ١٩٠ ص.

٣٥- **وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية** - الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م - ٦٦ ص - (سلسلة كُتيِّب المجلَّة العربية؛ ٧٣).

☆ ☆ ☆